□ نحو أدبٍ يتفاعل مع العقل :

كيف نسد الهوّة القائمة بين أدبنا والفكر الفلسفي

بقلم

محمد جابر الأنصاري

اساس المشكلة :

ان الشعور بعدم اكتمال الفكر العربي وعدم نضجه شعور عام شامل والحاجة الان شديدة للمضي بالفكر العربي الوليد قدما نحو الاكتمال والنضج .

ولنا ان نسال : ما هو موقف الادب من عملية النمو الفكري هذه ؟

هل على الادب ان ينتظر من الفكر ان يمده بالغذاء ، ام عليه ان يتفاعل معه ويمده بالعون ، ام انه من الممكن ان يتقدم عليه ليضيء له جوانب الطريق ؟

ثمة امور عدة علينا ان نلاحظها عند اثارتنا لقضية العلاقة بين الادب والفكر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اولا ..

بامكان الادب ان يقدم المعادلة العاطفية للموضوع الفكري .. وما سيقدمه الفكر العربي الجديد سيظل عطاء فكريا جافا اذا لم يتفاعل مع ضمير الشعب العربي ويصبح قوة نفسية ذات دفق عاطفي قوي ويتحد مع مناقبية الجماهير العربية ومثلها.

والواقع ان العاطفة «الناضجة» امر ضروري في نجاح اية حركة تاريخية وعلينا الا نتجاهلها او نخجل منها باعتبار ان التسيير العاطفي امر ضار او عديم الجدوى .

نعم ان العاطفة « الفارغة » من اي محتوى فكري او العاطفة المستندة الى الفكر الزائف هما الخطر الواجب اجتنابه .. وهذا ما نعاني منه اليوم .

اما العاطفة الناضجة السليمة النابعة عن نظرة فلسفية اعتقادية راسخة ، فانها ستكون مدماكا قويا في تعبئة قوى الامة الحضارية في الحرب والسلم على حد سواء .

ولكن الفكر — وحده — لا يستطيع القيام بخلق هذه العاطفة الناضجة السليمة والادب هو المسؤول الاول عن هذه المهمة التاريخية الخطيرة .

ان الادب مطالب بان يتخطى بالامال والمطالب العربية مرحلة الصبغة السياسية والعقائدية ليحولها — اي تلك الامال والمطالب — الى مثل عليا ومناقب سامية وعواطف حية تدخل في تكوين نفسيتنا الجديدة ونظراتنا الى الحياة والكون والفن .

لنأخذ مثلا مطمح « العدالة الاجتماعية » الذي يعلن المفكرون العرب عن ايمانهم به

فرق كبير بين ان نسمع هذا المبدأ يردد في البيانات والاذاعات والصحف وبين ان يصبح حقيقة نفسية — خلقية — اجتماعية راسخة في اعماق الامة العربية ..

والذي يستطيع ان يجعل من المبدأ الكلامي حقيقة راسخة هو العمل الادبي المخلص الصادق بما اوتي من حرارة الشعور ، وعمق التأثير ، وبراعة الاقناع . والحق ، فان قصة فنية بديعة تتناول موضوع العدالة الاجتماعية بواقعية وعمق يمكن ان تنفذ بدعوتها الى النفوس اكثر من الف بيان صحفي والف حديث اذاعي له طابع الدعاوة المباشرة !

ثانيا ..

هناك نواح في النفس الانسانية ليس باستطاعة الفكر ان يتناولها ويجعلها موضوعا له ، واذا حاول ان يفعل ، فان محاولته لن تصل الى تحقيق الغاية الكاملة . فكما اننا بحاجة الى فكر يواجه قضايانا المتعددة ويقدم لها الحلول ويضع حولها النظريات لكي نستطيع ان نخرج من ازمتنا الحياتية الراهنة ، كذلك فاننا بحاجة الى ما يحرر نفسيتنا واخلاقيتنا ومناقبيتنا مما علق بها من آثار ورواسب القرون الماضية ويصوغها صوغا جديدا يتلاءم مع الفكر الجديد .

اننا بحاجة الى خلق الانطلاق والطموح لدى الانسان العربي .. بحاجة الى تخليصه من مركب الذل والخوف وعدم الثقة .. بحاجة الى ان نعطيه اشواقا وامالا في الحياة ابعد من وعود الفكر المحددة ، الجافة الثابتة .

فالفكر بمحاولاته المنطقية ونتائجه العلمية الصارمة لا يستطيع ان يكشف للانسان حرارة الحب وعمقه ، وحلاوة الايمان ويقينه ، وقوة الصبر وعنفوانه .. وما من قوة على وجه الارض تستطيع ان تعطي ذلك غير قوة الاديب الفنان ذي التفاعل العميق مع الوجود الانساني والابعاد الحياتية والكونية ذات الافاق اللانهائية ..

وهكذا يغدو الادب توأم الفكر في حمل اعباء الحياة عن الانسان وفي كشف مسراتها الخصبة الغنية : الفكر يرسم درب الاجتماع والاقتصاد والادب يوشح افاق المحبة والايمان وغيرهما من المعتقدات الانسانية ذات الزخم المتدفق .

الا اننا يجب ان نلاحظ بقوة ان الادب لن يصل الى هذه المكانة السامية ولن يتمكن من حمل هذه المهمة الشريفة الا اذا تخلص من حرتقات البيان والبديع والعروض والبهلوانيات اللفظية من امثال صناعة الحريري والبهاء زهير !

والا اذا اصبح في جوهره معاناة الفنان لانسانيته وحياته وكونه ..

ان الادب وقد اكتسب حرارة الاخلاق اللاهبة وقوة الدين الدافقة يستطيع ان يضطلع بهذه المهمة الروحية والنفسية .

ولكن السؤال : ما هو طريق ادبائنا للقيام بهذه المسؤولية التاريخية ؟

ان مهمة الاجابة تقع على عاتق فكرنا النقدي باكمله .. هذا الفكر الذي ما زال عاجزا عن تقديم الجواب الشافي .

ثالثا ..

ان الادب احيانا قد يقوم بمهمة تتعدى مجرد المشاركة في حمل الاعباء الانسانية مع الفكر الفلسفي .. فقد يكون باستطاعة الادب — اذا كان حيا غنيا خصبا — ان يتقدم الفكر بمراحل ليفسح امامه المجال بعد ذلك.

ان **هيدجر** ، فيلسوف القرن العشرين ، يقول انه استقى جوهر فلسفته من ادب الاديب المعروف « **رلكه** » ، وان عطاءه — اي عطاء **هيدجر** — الفلسفي ما هو الا معادلة فكرية لمعادلة **رلكه** الادبية ..

فمتى سيكون عندنا اديب يستفيد منه الفكر ولا يقتات هو على مائدة الفكر ؟ اديب عنده من الرؤية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف نسد الهوة القائمة بين أدبنا والفكر الفلسفي

والاصابة والعمق ما يمكنه من استجلاء العوالم التي لم يطأها فكرنا بعد ليضيئها ويوجه الفكر بعد ذلك اليها

ليقوم بمهمته الموضوعية التفصيلية ؟

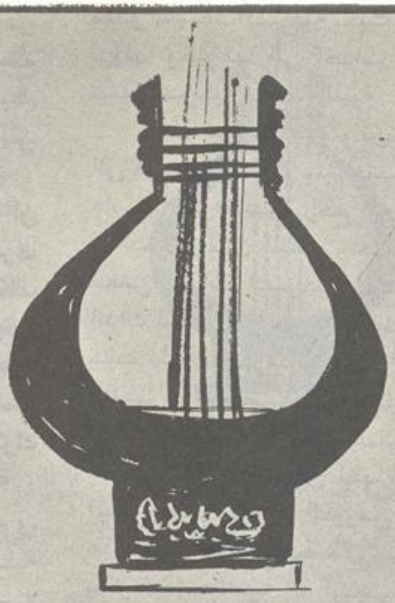
ان ادباءنا يجب ان يلاحظوا ان مفكري القرون الوسطى في اوروبا استقوا نظرياتهم الكلية من الاطار الكوني الذي رسمه الاديب الايطالي « **دانتي** » في فريدته الرائعة **(الكوميديا الالهية)** .

وان المحلل النفساني المشهور « **فرويد** » استقى الكثير من نظرياته العلمية من نماذج نفسية التقى بها في اعمال ادبية عظيمة كمسرحيات « **سوفوكليس** » الاغريقي وقصص الروائيين الروس الكبار امثال **تولستوي وديستويفسكي** ، وذلك ان دل على شيء فانما يدل على ان هؤلاء الادباء امتلكوا من القدرة على التأمل الفلسفي والنظر العلمي ما مكنهم من الارتفاع باعمالهم الادبية الى افاق تتخطى مكتشفات الفلسفة والعلم في ازمانهم .

واجمالا للموضوع نقول : ان الادب يمكنه ان يلعب دورا عظيما في الحياة الانسانية مع توأمه الفكر تفسيرا ومشاركة وقيادة ، وان اي ادب يقيم هوة بينه وبين التفكير الفلسفي في بلاده وفي العالم الانساني الارحب لن يكون بامكانه ان يقدم شيئا يذكر وان مصيره — في حالة الانفصال والتقوقع — لن يكون افضل من نتاج عصر المماليك والاتراك .. ومن لديه بقية من شك فليقرأ مقامات الحريري وديوان البهاء زهير !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في ذكرى الجوقة اليونانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلال عبد الهادي

الحقيقة ان كلمة « الكورس » استوقفتني قبل ان اشرع في كتابة هذا الموضوع لانني لم اجد لها معنى في المعاجم العربية . بحثت عن كلمة « الجوقة » فكانت معرفة بانها « جماعة من الناس » فرجعت الى قواميس اجنبية لعلني اجد ما ابغيه فوجدت كلمة « الكورس » في عدة قواميس واخذت خلاصة ما اتفقت عليه من تعريف او معنى لهذه الكلمة. « فالكورس هي جماعة من المغنين والراقصين في الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في بلاد اليونان في عيد الاله الاكبر ديونيسوس رب الخمر » ، هذا التعريف البسيط لم يشف غليلي حول هذه الكلمة ، اردت ان اعرف هل تطورت ودخلت في مجالات اخرى من مجالات الحياة اليونانية فوجدت ان اقرب مجال اثرت فيه هو الفن او الدراما .

فتتبعت « الكورس » في الدراما اليونانية من خلال التعريف السابق فجماعة المغنين والراقصين من اتباع الاله « ديونيسوس » ينشدون الشعر الغنائي المعروف « بالديثورامبوس » وتتميز هذه الاناشيد بطابع الجموح والحماسة وقد تأخذ طابع الحزن او الفرح وهي مصحوبة برقصات سريعة وكان قائد الكورس يسرد مغامرات الاله « ديونيسوس » وافراد الكورس يشاركونه احزانه وافراحه ، وجدت في هذا الكلام رأيين :

يقول الرأي الاول : « ان التراجيديا سميت بهذا الاسم لان الاحتفال بعيد الاله « ديونيسوس » كان يتضمن تقديم قربان للاله وكانت الذبيحة جديا او تيسا » .

والرأي الثاني يقول : « ان التراجيديا هي في الاصل اغان ينشدها مغنون يرتدون جلود الماعز » ..

والسائد هو ان اصل التراجيديا يرجع الى احتفال ديني يقام اكراما للالهة وللموتى من الابطال وكان المحتفلون يقدمون ذبيحة من فصيلة الماعز ، وكذلك يرجع اصلها الى القصائد الغنائية التي كانت تنشد بمناسبة تقديم القرابين من التيوس حيث كان ينظر الى التيس منذ اقدم العصور على انه حيوان محمل بذنوب وخطايا الناس وان في خلاصه تطهيرا من هذه الذنوب .

هذه مجرد اراء لم تثبت الايام عدم صحتها ..

هذه الاحتفالات تتكرر سنويا احياء لذكرى هذا الاله فكانت اعياده التي تستمر ستة ايام من ١٠ مارس الى ١٥ منه تبدا بالذبائح وتنتهي بالعرض الذي تقدم به الجوائز للفائزين من الشعراء .

يتكون افراد « الكورس » من خيرة شباب اثينا وكانت توضع اعتبارات كثيرة في اختيار هذه الصفوة من الرجال لان الاحتفال ديني له جلاله ووقاره وهو لرب الارباب .

كان من عادة الاثينيين ان يقوم احد الاثرياء بالصرف على هذه الاحتفالات والتكلف بكل ما يتعلق بها من ملابس وادوات وكذلك اجور المدربين فاذا كانت حالة الفنى لا تسمح بذلك اشترك معه اخرون في هذه المهمة .

ظهرت « الجوقة » بوضوح في بداية نشأة التمثيل او بالاصح في بداية ظهور الممثل الاول على يد «ثسبيس» الذي يقال انه اول من قام بدور الممثل في مسرحية . فكان يلطخ وجهه بالنبيذ كمكياج يعبر عن الشخصية المراد تمثيلها فكانت مهمة الكورس معه ان يفصل بين الفصل والاخر فاذا وجد ثسبيس في داخل الخيمة يغير شخصيته للشخصية الجديدة، كان الكورس على المسرح ينشد اناشيد ويقوم بحركات ايقاعية راقصة وتشكيلات جماعية تملي الصور وتعطي فرصة لثسبيس ليغير شخصيته ، فكان بمثابة ستارة بين الفصل والفصل وحالما يدخل ثسبيس المسرح تجلس في المكان المعين لها خارج المسرح حتى لا تؤثر على سير احداث المسرحية ، وهذا لا يمنع انها تشترك مع ثسبيس في حوار المسرحية او انها تشترك في حوار خاص لها بقيادة رئيسها وثسبيس واقف خلف الجوقة وظهره للجمهور بدون اي حركة او كلمة ، واذا اتى دوره اشترك معها او قدم دوره بدونها . وهكذا تجري المسرحية بحيث لا يؤدي وجود واحد على المسرح بدون دور الى لفت انظار الجمهور ويصرفه عن تتبع المسرحية ونفس العمل يقوم به الكورس في حالة عدم اشتراكه في بعض مشاهد المسرحية بحيث لا يؤدي نزولها وطلوعها الى احداث اصوات تفقد المسرحية قيمتها الفنية .

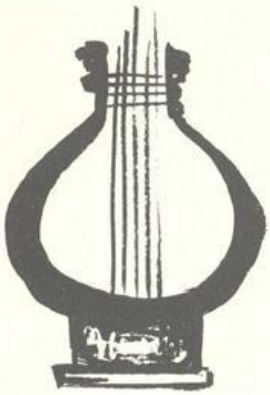
هذا عن ثسبيس ولكن لو اتينا الى دور الكورس في مسرحيات «اسخيلوس» الذي يرجع اليه الفضل في ادخال الممثل الثاني وتحسينه لبعض ادوات المسرحية المستعملة انذاك لوجدنا ان دورها يختلف عما كانت عليه سابقا فكانت مهمة الكورس التفسير والتعليق على احداث المسرحية فمثلا لو كانت للمسرحية بداية او مقدمة لا يمكن اظهارها على المسرح قام افراد الكورس بوصف هذه المقدمة ، ابسط مثل يمكن ان يذكر مسرحية « اوديب ملكا » « لسوفوكليس » . فمقدمة المسرحية تتحدث عن حياة اوديب كيف نشأ والنبوءة التي تنبأ بها الكاهن لوالد اوديب وما حدث لاوديب الصغير بعد ذلك وفي النهاية يلتقي اوديب بوالده في مفترق طريق حيث يقتل والده ويدخل المدينة التي تربى بها ويتزوج والدته .

كل هذه المقدمة اذا لم تقدم في بداية المسرحية لا يفهم الجمهور سير احداث المسرحية ، فمعرفة الجمهور بكل صغيرة وكبيرة حدثت قبل بداية المسرحية على المسرح تساعد على فهم الجمهور لاحداث المسرحية فيربط ما يشاهده بما يسمعه من قبل على لسان الجوقة .

يتضح من هذا ان اهمية الكورس لم تقل وربما امتاز عصر **اسخيلوس** انهم ارتدوا الملابس الملائمة للدور الذي يقومون به في المسرحية .

ولم تكن في عصره قاصرة على الشباب فقط فكانت تتكون من الشيوخ والنساء على حد سواء فاذا كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في ذكرى الجوقة اليونانية

المسرحية تتطلب النساء مثل مسرحية **اسخيلوس** «الضارعات» كان الكورس مؤلفا فيها من فتيات يرتدين ملابس شرقية حتى تتناسب مع جو الجوقة وكذلك حدث نفس الشيء في ثلاثيته وفي جزء حاملات القرابين حيث ارتدى الكورس المكون من فتيات ملابس قاتمة حتى ينسجم منظرها مع الحداد الذي كانت فيه تلك الفتيات في المسرحية .

دور الجوقة في عصر «سوفوكليس»

لم تقل اهميته لانه تأثر بما قبله ففي مسرحية « اياس » لا يزال العنصر الغنائي الذي يقوم به الكورس موجودا في المسرحية . ووجود العنصر الغنائي يؤكد عنصر الكورس الذي يقوم بتجسيد الموقف وتفصيله للجمهور ويلاحظ في عصر سوفوكليس ان الكورس قد زاد عدده دون اي اضافة في عمله .

وفي مسرحية « انتيجونا » ايضا تؤكد لنا بداية المسرحية ان العنصر الغنائي بدأ يقل عن ذي قبل .. ففي نهاية المشهد يدور الحوار الوداعي لانتيجونا بينها وبين رئيس الجوقة فكانت تخاطبه وهو يخاطبها دون وجود الجوقة التي كانت ممثلة في شخصه .

ومع الابتعاد عن العصرين تبدا مهمة الجوقة في الاضمحلال وتدخل المسرحية مرحلة تطورية جديدة تضيف الى درجة بناء المسرحية اسسا قوية تكون دعامة ارتقاء هذا الفن ، ففي مسرحية الكترا نجد ان العنصر الغنائي موجود في مقدمة المسرحية فقط كما ان استخدام ثلاثة ممثلين انضج المسرحية وقلل من اهمية الكورس . ونرى هذا بوضوح في مسرحية « فيلكيتيس » .

وفي عصر «يوربيدس» لم يكن حظ الجوقة مثلما كان لسابقيه .. ففي عصره ضعفت تماما عن اداء اي دور يذكر واصبحت مهمتها واهية بحيث لو فصلت عن المأساة لما اثرت ادنى الاثر .

وفي مسرحية « ميديا » تترنم فيها نساء كورنثا بمحامد اتيكا السعيدة في لهجة مرحة وانعطافات فلسفية . وفي مسرحية « الكستيس » على لسان الكورس المؤلفة من شيوخ مدينة « فيرا » من الاشادة بقوتها وسلطانها ولا ريب ان الذي حدا بالمؤلف الى ترجيح الاغاني على الحديث العادي لتسجيل ارائه انه فيها اكثر حرية وابعد عن المسؤولية الفنية .

ووصف الطبيعة في بعض مسرحياته وموكب ديونيسوس فوق الجبل وظهور هدوء الطبيعة وسكونها في اغنية الكورس « هيلينيه » ، ونرى في مسرحية هيبوليتوس ان العناصر الدرامية تعقدت بالمأساة وبالتالي قل الغناء الذي بدوره قلل من اهمية الكورس .

من هذا نرى ان الجوقة بدأت جماعية في احتفالات الاله ديونيسوس رب الخمر واخذت تقل اهميتها مع تطورها ودخولها في مجال الدراما ، بدأت ايضا تنفصل وتندمج في التمثيل مع الممثلين ويمكن ان نلاحظ الجوقة بصورة اخرى في كثرة الممثلين الذين يشتركون في المسرحية فكان سابقا يعتمد على الجوقة في تصوير بعض احداث المسرحية التي لا يمكن ابرازها على خشبة المسرح ، هذا لا يمنع ان نشاهد ونستمتع بوجود كورس او جوقة في مسرحية حديثة وفي هذا المجال لا بد ان تأخذ طابعنا الحديث .

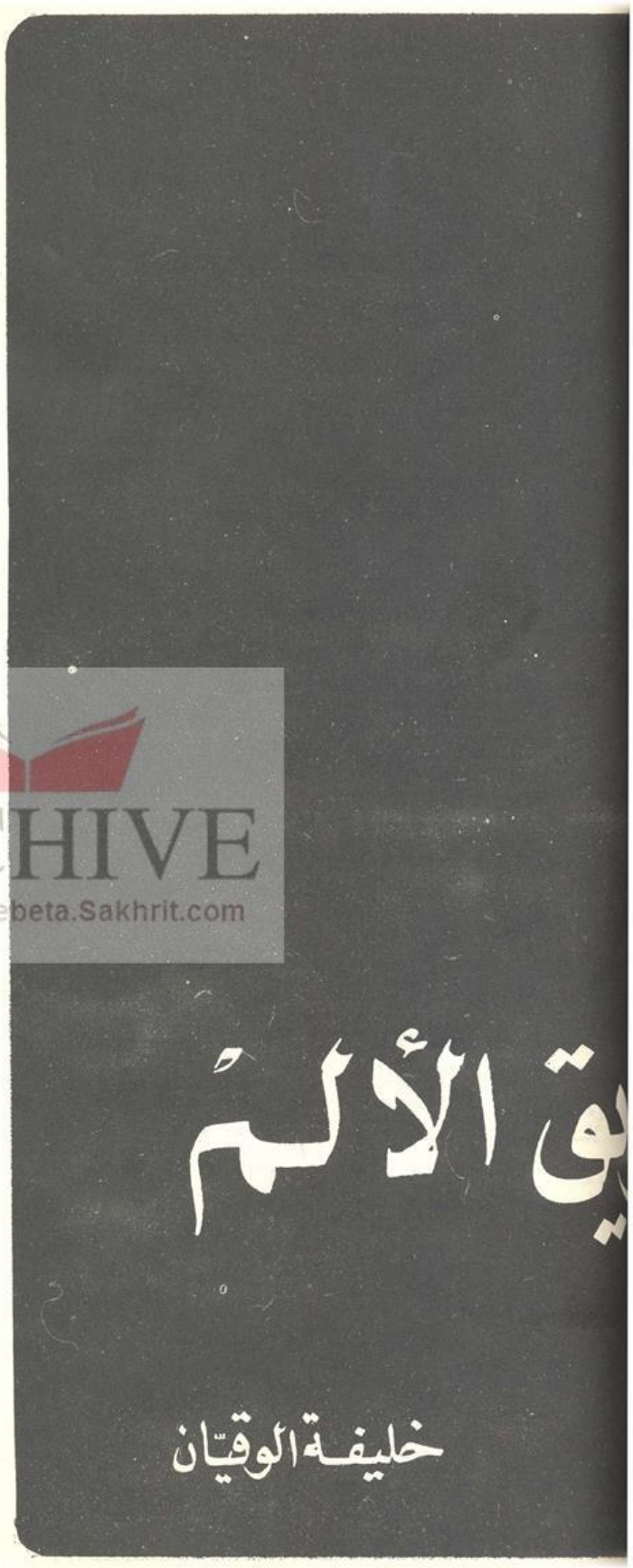
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فهد العسكر وعبد الرحمن شكري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي ط



الالم ضريبة لا بد للحر ذي الضمير الحي من ان يدفعها على دروب الحياة . حيث ينتصب الزيف ، والحقد ويحتجب صبح الحقيقة خلف ظلام التضليل والتشكيك .

والشاعر كائن مرهف الحس ، سريع التأثر ، ذو نفس شفافة ، يستهويه ما هو حسن في الحيـــاة فيستحوذ على اعجابه ، بل يستولي عليه ، ويؤلمه ما هو سيىء ، فيستثير حفيظته ، ويدمي فؤاده .

وحيث تكون مشاعره العتاد الذي لا تنضب منابعه ما دام قادرا على التنفس ، والقلم اداته التي يحشوها ذلك العتاد ، لهذا نرى صدى نفسه يتردد مع كل لحظة أنس تسعده ، أو ساعة هم تقض مضجعه .

وليس الشاعر ــ غالبا ــ بذلك الانسان الذي يكتفي من الاحداث بأثر ينعكس عليه منها ، بل هو الترجمان الصادق للمجموع الذي يعيش ضمنه ، تسعده افراح ذلك المجموع فيغنيها شعرا ، ويؤلمـــه تعثره وانتكاساته فيسكب ذلك من ذوب روحه .

ولقد صدق الشاعر راشد السيف في تعريفه للشعر بانه وحي تلك الروح :

ومـــا الشعر الا وحي روح تأثرت
بما حولها من ذكر مـــاض وحاضر

وجوه التشابه بين الشاعرين :

والشاعران اللذان نقف لنلقي نظرة عليهما ، وهما على طريق ذلك الالم ، اتفقا في وجوه واختلفا في وجوه اخرى . فلقد اتفقا في كون كل منهما قد اصاب نصيبا كبيرا من الاحاطة بالادب العربي ، فاصبح ذا ثقافة عربيـة واسعة ، صقلت شاعريته وامدته بثروة ضخمة مـن اللفظ ، وان كان شكري قد نال من الادب الانكليزي ما لم ينله العسكر . ومن هنا كانت عناية كل منهما باللفظ ، ولا يعني ذلك انصرافهما الى الزخرف اللفظي واهمال المعنى ، ومن هذا المجال يتبين ان العسكر قد اولى اللفظ عناية اوفر مما اولاها اياه شكري .

كذلك فقد اتفقا في كون كل منهما صاحب مدرسة في التجديد ، فقد خرج شكري على قوالب النظم التي درج عليها معاصروه كحافظ وشوقي . وكذلك فعـــل العسكر فجدد في اغراض الشعر ، وخرج عما جرى عليه من سبقه او عاصره من شعراء الكويت .

ثم انهما اتفقا في كون كل منهما ذا نفس شفافـة مفرطة الحساسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان شكري قد عاش طفولة لم يلق خلالها العناية الكافية ، اذ كان والده قد اضطهد ، وزج به في السجن نتيجة مناصرته للثورة العرابية .

وقد تطلع الشاعر خلال المرحلة التي تمخضت عنها ثورة ١٩١٩ الى خلاص بلاده من النفوذ الاجنبي والفساد الداخلي ، ولطالما الهبت قصائده مشاعر الجماهير ، وفشلت ثورة ١٩١٩ نتيجة تحالف البرجوازية الوطنية والاقطاع . فخاب امله ، واحس بالمرارة .

ولم يسلم من المضايقات والمتاعب التي لاحقته على اكثر من درب في حياته بصفة عامة .

فقد عانى من عدم اتاحة المجال له لتطبيق مفاهيمه في التربية ، اذ كانت الاساليب البالية هي السائدة ، كما كان عرضة للقدح والذم نتيجة اعتداله وسط التيارات السياسية ، والمنازعات الحزبية التي كانت تعصف بمصر . يقول العقاد عنه « **كانت له امال في النهضة الادبية ، وامال في وظائف التعليم ، وامال في حياته الوجدانية ، فلم يظفر من جميع هذه الامال بغير الصدمات تلو الصدمات** » .

ولم يسلم من تنكر المخلصين له ، فلقد كان استاذا للمازني ، كما يعترف بذلك المازني نفسه في قوله : « **وتوثقت الصلة بيني وبين شكري ، فصار استاذي وهو زميلي ، وكان لي قدر يسير من الاطلاع على الادب العربي ، ولكنه كان ينقصني التوجيه ، فتولاه شكري** » . الا ان جفوة فرقت بين الرجلين ، وتدرج المازني في نقده لشعر شكري الى ان اوصله الى الجنون ، وهو الذي سبق ان قارن بينه وبين حافظ بقوله : « **ان حافظا ، اذا قيس الى شكري لكالبركة الآجنة الى جانب البحر العميق الزاخر** » .

وليست حالة العسكر ببعيدة عن تلك الدائرة ، فهو لم ينعم في شبابه بما نعم به اترابه ، ولقد كان طموحا متفتح الذهن ، يرى ما لا يراه الكثيرون من قومه ، الا ان اماله خابت في كل ما تطلع اليه ، وتنكر له من تنكر ، واتهم بما لم يكن فيه ، فزاد ذلك من احساسه بالغربة في معشره ، فآثر العزلة .

ولئن فقد شكري نتيجة الشلل الذي داهمه عام ١٩٥٢ ، نصفه الايمن ، فزادت حالته تعقيدا ، فقد فقد العسكر بصره ، وهو اعز ما يملك ، فازدادت حالته سوءا على سوء .

ولقد انعكست اثار تلك الظروف القاسية على شعر كل منهما فصبغته بالصبغة السوداوية .

نماذج من شعرهما :

واذا ما تأملنا بعض النماذج الشعرية لكل من الشاعرين ، تبين لنا الى اي مدى كان كل منهما يحس بالالم الجاثم في اعماقه ، وان اختلفت مسبباته .

فاذا كان العسكر يتطلع الى من يعينه على ما يعانيه :

وتناهبت كبدي الشجو
ن فمن مجيري من شجوني
وأمضني الداء العيا
ء فمن مفيثي من معيني

فقد قال شكري :

من معيني على الحياة وقد ما
ت معيني وراح عني نصيري
حيث لم يبق لي سوى الامل المر
وذكر رث وحظ نزور

واذا كان فهد قد استغاث بليلاه لعلها تزوره خلسة وفي غفلة من اعين الحساد ، فتبدد عنه وحشة العزلة فلطالما حن شكري الى من يبدد ليله ، يقول العسكر من قصيدته « وحدة عابسة » :

ولهان يفترش الرمال اصيلا
فيخاله الرائي هناك عليلا
طورا يئن وتارة يبكي ... وآ
ونة تراه صامتا مذهولا

★★★

وارحمتاه له فلم ير راحما
في قومه ومواسيا ومقيلا
اواه من ذكراي ليلة اقبلت
سكرى تجر على الرمال ذيولا
فالقلب صفق هاتفا ومرتلا
للقائها نغم الهوى ترتيلا
رددت تقديسا وتعظيما لها
بسجودي التكبير والتهليلا
فتقول لي والكأس خضب كفها
اني لاهوى الضم والتقبيلا
فأجبت اخشى البدر يفشي سرنا
فاضفي عليه شعرك المسدولا

★★★

حواء والهفي عليك فما سلا
قلبي ولا ارضى سواك بديلا
اهلوك قد جاروا عليك وعافني
اهلي وما ازمعت بعد رحيلا

اما شكري فيقول في قصيدته « ليلة نحس وليلة سعد » :

هل أثار الخيال داء دخيلا
فاستحال العزاء الا قليلا
واستعار السهاد عيني وقد اطلـ
ـق نجم السماء طرفا كليلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★★★

طـــال عهدي بذلك الليل يـــــا صبـــ
ـــــح فكن لي مـــن الظلام بديـــلا

★★★

يا عميـــــد الهوى اذا مـــا تحرقـــ
ت فكن واصـــــلا شفيقـــا منيـــلا
واذا كنت لست تعلم مـــــا الحب
تخذني عـــــلى الوفـــــاء دليـــــلا
قـــــد بثثت النسيم مـــا بي وقد هب
فصـــار النسيم مثـــــلي عليـــــلا
سئمتني الاحوال اني قـــــــد صر
ت عـــــلى الحادثـــات حملا ثقيـــلا
غفل الدهر يـــــــا حبيبي فقم ننـــ
ـــفض زمانا دون الوصـــال طويـــلا
ونكتم عـــــن الحواســـــد ســـرا
جل عن ان ندعوه شيئـــلا جليـــــلا
ونبـــــادر قبـــــل الحوادث آمـــــا
لا ونشفي صبابـــــــة وغليـــــلا
احتوانـــــا الدجى فقم يـــــا حبيبي
نتخذه الى الوصـــــال سبيـــــلا

واذا ما القينا نظرة على بعض ما جاء في قصيدة شكري « شقوة العيش » التي نفث فيها احاسيسه بالمرارة والغربة بين قوم رموه بالخنى والسوء ، تبين لنا الى اي مدى تتفق احاسيس الشاعرين :

حياتي أما للنحس حـــد ولا مدى ؟
فاني كرهت العيش في اول الصبـــا
حياتي ان الجسم يبلـــى ودونـــــه
فؤاد شجي ليس يدركـــــــه البلى
الى م حيـــــاتي اذرف الدمع حسرة
ولا ينفـــــع المحزون ان ردد البكى
وبين ضلوعي للتصبر لوعـــــــة
تحملني مـــــا لا اطيق مـــن الاسى
وحتى متى ابلو نفوســـــا ضئيلـــة
أبـــين لهـــا ودي فتبدى لي القلى ؟
وحتى متى يبغون ضري وشقوتـــــي
ومالي لو خيرت في النـــاس من عدى
ولو انني كالناس لؤمـــــا وغلظـــــة
جريت على شرع الزمـــان كما جرى

★★★

فيا موت اقبـــــل لا كاقبال رائـــــع
مرير كطعم العيش يؤلم من حســـا

★★★

وكن لي عـــلى الاحزان عونـــا ورحمة
فما نافعي في العيش لوم ولا رضـــا
وما طلبي للموت تطلاب كـــــــاذب
رأى الموت ينجيه فابكـــاه مـــا رأى
فان حيـــــاتي غلة ريهـــــا الردى
وخير شراب المرء مـــــا ينقع الظما
فتخمد نار كان جمـــــا ضرامهـــــا
اذا ما خبـــا من لوعـــة العيش ما خبا
فيا قلب كن في الصدر كالميت واسترح
كفى من مرير العيش يا قلب ما مضى

★★★

كأني بـــين النـــاس من أهـــل عـــالم
جديـــد غريب اخطـــا الاهل والحمى
فمـــا لي من عطف لديهم ورحمـــــة
ولا لي فيهم من اخـــــاء ولا هوى
يعيبون نفسي ضلـــــة وجهالـــــة
ويرمونني بالسوء والمكر والخنـــــى
اذا مـــا اراد المرء اخفـــاء عيبـــه
رمى غيره بالعيب لم يعـــد من رمى
وما قومي القوم الـــــذين اراهم
الا ان قومي في البعيـــــد من الدنى

★★★

وأوجع مـــا لاقيت جـــــاه مصدق
كأن ثيـــاب الجـــاه خيطت من الحجى
يخال ذووها في كمـــــال وعفـــــة
وتحت ثيـــاب الجاه ما شئت من خنى

لست ادري اية قصيدة للعسكر لا تدور في هـــذا المحور ؛ فهو في قصيدته « ضفاف الخليج » يردد الاهات ذاتهـــا :

يا خليلي كيف السبيل الـــى الصبر
اجبني بالله ، هـــل مـــن سبيـــل
يا خليلي اين المواسون ســـــائل
شاطىء البحر عنهم يـــــا خليلي
هل سلوا ام قضوا غرامـــا فاني
لم اجـــــد بينهم فتـــى يرثي لي
يا حبيبي هيهـــات يندمـــل الجرح
ودائي استشرى فمـــن للعليـــــل

★★★

اقلب الصفحة من فضلك

وبقلبي داء وفي النفس مـــا فيهـا
وعـــاث الضنى بجسمي النحيـل
آه من لـــي ولو ببعض التنـــاسي
انـــا ان لم أمت فبعـــد قليـــل
احفروا لي قبرا على شاطىء البحـ
ـــر سميري في وحدتي ومقيلـي
لم تطب لي دنيـــا الشقـاء مـوا
لهفي وشوقي للعـــالم المجهول

وفي قصيدته « شهيق وزفير » يشير الى من تحاملوا عليه ، وارهقوه باتهاماتهم :

وتحاملوا ظلمـــا وعـــد
وانـــا عـــلي وارهقوني
فعرفتهـــم ونبـــذتهم
لـــكنهم لـــم يعرفونـــي
وهنـــاك منهـــم معشر
أف لهـــم كـــم ضـــايقوني
هـــذا رمـــاني بالشـــذو
ذ وذا رمـــاني بالجنـــون
وهنـــاك منهم مـــن رمـــا
ني بالخلاعـــة والمجـــون
وتطـــاول المتعصبـــون
وما كفـــرت وكفرونـــي
وانـــا الابـــي النفس ذو الـ
ـــوجدان والشـــرف المصون
الله يشهـــد لـــي ومـــا
انـــا بالذليـــل المستكـــين
لا در درهـــم فلـــو
حزت النضـــار لالهونـــي

وكذلك يفعل في قصيدته « شكوى » :

لصقوا المثـــالب بي وكـــل
مثـــالبي عـــدم اتجـــاري
أسفـــا علـــى عمـــر تقضى
بـــين أطفـــال كبـــار
بـــين المنـــافق والمخـــادع
والمـــداجي والمـــداري
غرسوا فقـــل لي هـــل جنوا
غـــير المذلـــة والصغار ؟
متذئبـــون ولـــو ثفت
شـــاة للاذوا بالفـــرار

★★★

يـــا نـــاس قـــد ادمى اغتـــرا
بـــي مهجتي والـــدار داري
أصغي فلـــم أسمـــع بهـــا
غـــير النهيق أو الخـــوار
أنـــا لم أجـــد فيهـــا غيـــو
را قـــام مـــن درك العثـــار
فمظـــاهر خلابـــة
والآل يخـــدع في الصحـــاري

واذا كان العسكر قد تشكى من اولئك الجبناء ، والمنافقين على اختلاف اصنافهم فقد فعل شكري الشيء ذاته . واذا كان العسكر قد اكثر من الشكوى فـــان شكري لم يكن باقل منه .

يقول شكري في قصيدته « شكوى » وهي تحمل ذات الاسم الذي اختاره العسكر :

حياة كدمـــع العين أمـــا مذاقهـــا
فمر وامـــا وقعهـــا فوجيـــع
وان الامـــاني التي انـــا نـــاشد
فقـــاقيع طرفي نحوهن نـــزوع
تقدمني في النـــاس من لم يجـــارني
وأخرني ان الذكـــاء يـــروع
وأخرنـــي ان اللبيب محســـد
على فطنـــة يعصى بهـــا ويطيع
يمر لداتي واحـــدا بعـــد واحد
أمـــامي ، وعيشي في الهوان يضيع
وأوجـــع ذل النفس طـــاعة سائد
تعلى وقدمـــا كان وهو مطيـــع
أيخشون مني خلـــة عبقريـــة
فيغلو مقـــال او يسوء صنيـــع

وقد تطلع كل منهما — من فرط احساسه بالعزلة — الى من يحن عليه ، وينفس عنه بعض ما يشعر به من ألم الوحدة النفسية . وأكثر العسكر من ذكر ليـــلاه . فمن تلك التي زارها في الاحمدي ، الى التي ذهبت واياه الى الشاطىء ، الى جارته التي ادعى زيارتها . فها هو يعلل نفسه بلحظات قضاها مع احداهن :

من جلنـــار خـــدوده
نقلي ومـــن آس العـــذار
وأقـــاح ثغـــر كـــم نظمت
ببنتـــه اكليـــل غـــاري
قبـــل بهـــا رفت منـــي
نفسي عـــلى قدحي المـــدار
بـــأبي بياضـــا في احمـــرا
ر واحمـــرارا في اخضـــرار

★★★

ولثمتـــه وبثثتـــه
شكواي همســـا مـــن حـــذار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحصرت بانـــــــة قـــــده
فحســـا الصبوح على اهتصاري
وافتر مبسمـــــــه فيـــا
لجمـــــال ذاك الافتـــرار

★★★

وعيونـــــه توحـــي عـــلى
همس النسيمـــــات السواري
فأصوغ مـــــن الهامـــــه
غررا ولـم أعـــدم قراري

ويتساءل شكري عن التي كانت تقطع وحدتـــه بزيارتها ، فتبل احشاءه وتبدد وحشته :

أين ورد الخدود كـالجمر يـــذكي
حرقـــات يشقى بهـــا المستهام
أين قـــد ينقـــد من دونـــه القلـ
ـــب ويطفى عليـــه منـــه الهيام
وثنـــايا مفاحـــات عـــذاب
هـــن ري للمستقى وســـلام
أين مـــد الشفـــاه من عبث الـد
ل وثغر يبـــل منـــه الاوام
اذ ذراعي نطاقـــه ونطاق الـ
جيد مني مـــا تضمر الاكمـــام
ولقـــاء كانـــه رشفـــه الطيـ
ـــر وهجر كأنـــه الاعـــوام
لنقيمن مأتمـــا حـــول حسن
استوى الصمت دونـــه والكلام
ثم اكسوه مـــن قريضي زهـــرا
مثلمـــا حبب الزهور الرجـــام

ولئن خاطب العسكر صديقه الذي يطمئن اليه ، وترتاح له نفسه ، الاستاذ الشاعر عبدالله زكريـــا الانصاري ، فبثه شيئا من اعترافه بفضله ، وتمنى ان يرى منه ما لم يتمنه من غيره ، خاصة بعد ان طـــال الصمت ، والركب حائر ، وخارت قوى حاديه منذ تاه هاديه ، فلقد خاطب شكري صديقه العقاد ، بمناسبة صدور ديوانه الثاني ، واتخذ من تلك المناسبة فرصـــة اعترف له فيها بفضله ، متمنيا عليه الا يلتفت الى من ينكر الفضل ، والى من غاب عنهم الجلال .

يقول العسكر مخاطبا الاستاذ الانصاري :

تغنيت في الوادي فاسكرت نشـــاه
وأطربت دانيه ورقصت قاصيـــه
ورحت على الاحلام في الروض نائمـــا
فابكيت في فصـــل الربيع قماريـــه
وكم لك من وجدانـــك الحي صرخة
بعثت بها ميتا وأيقظت مـــا فيـــه
وكم عبرة ارسلتهـــا اثر عبرة
لمست بهـــا جرحـــا تناساه آسيه
وكم لك من اغنيـــة شفت الصدى
ومثلـــك عبدالله تشفى اغانيـــه
فتى الهاتفـــات الواثبـــات شواديا
ويا من بأفق الفن لاحت دراريـــه
فديتـــك طـــال الصمت والركب حائر
وخارت قوى حاديه مذ تـــاه هاديه
بربـــك اطلقهـــا لحونـــا مثـــيرة
تحرك في القلب الشعور وتذكيـــه

اما شكري فيخاطب العقاد قائلا :

يا شـــاعر الكون أطلق من سرائره
نور الحيـــاة فشعر منـــك يذكيـــه
الفضـــل أغلب من غر يصاقبـــه
والعقـــل اعدى على غمر يدانيـــه
فلم يضرك جوار من أخي جهـــل
الفكر عدوى وجـــار المرء يعديـــه
قـــد ينكر الفضل بين الناس صاحبه
ويمدح الفضل بـــين الناس باغيـــه
كم أكبر النـــاس امرا انت تصغره
وغـــاب عنهم جـــلال أنت تدريـــه
يـــا ناطقـــا يذر الالبـــاب صامتـــة
كأنمـــا فـــاه ذاك الخلد من فيـــه
تذكي الذكاء بسحر أنت نافثـــه
حتى لشـــدة مـــا تذكيـــه تفنيه
تقصيـــا لمعان لا انتهـــاء لهـــا
يفنى الذكـــاء ولا تفنى معانيـــه

★★★

واخيرا فلقد جمع الالم والاحساس بالغربـــة الشاعرين ، على الرغم من اختلاف ظروف حياتهمـــا في بعض الجوانب ، فجاء تعبيرهما عن ذلك الالم متقاربا. ويبقى ان نتساءل هل تأثر شاعرنا فهد العسكر بشاعر مصر عبد الرحمن شكري ؟

من المعلوم ان شكري ولد عام ١٨٨٦ م وتوفي عام ١٩٥٨ م . وقد صدرت دواوينه الثمانية والتي جمعت عام ١٩٦٠ في ديوان واحد ، على النحو التالي :

إقلب الصفحة
من فضلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تابع : فهد العسكر
وعبد الرحمن شكري

ضوء الفجر	١٩٠٩
لآلىء الافكار	١٩١٣
اناشيد الصبا	١٩١٥
زهر الربيع	١٩١٦
الخطرات	١٩١٦
الافنان	١٩١٨
ازهار الخريف	١٩١٩

واخيرا صدر ديوانه الثامن ، الذي يتضمن القصائد التي نشرها في الصحف بعد عام ١٩١٩ ، والتي لم تنشر ، وذلك في عام ١٩٦٠ .

اما الصحف التي نشر فيها فهي : عكاظ ، المقطم ، الاهرام ، الهلال ، المقتطف ، المجلة الجديدة ، الرسالة ، وعلى الرغم من صدور ديوانه الاول عام ١٩٠٩ ، مما يدل على انه بدأ النظم قبل ذلك التاريخ ، الا ان معظم القصائد التي نشرت له الصحف كان نشرها بعد سنة ١٩٣٥ . اما مجلة ابولو فلم ينشر فيها شيئا من شعره.

واذا ما علمنا بان فهد العسكر ولد عام ١٩١٤ ، حسب رواية الاستاذ الاديب خالد سعود الزيد ، علما بان كتاب « فهد العسكر حياته وشعره » لم يشر الى تاريخ ميلاده ، وان دواوين شكري باستثناء الثامن منها ، والصحف الصادرة بعد عام ١٩٣٥ ، كانت قد ظهرت في فترة كان فيها الشاعر العسكر في اوج تفتحه الذهني ، وشغفه بالاطلاع ، جاز لنا ان نقف لنتساءل عن امكانية تأثره بشكري .

لهاث الغريب

شعر : عماد عمران فياض

(الى ــ م ــ رفيقة الصمت والغربة)

غرباء نبحث في عيون الاخرين
وخلال صمت الاوجه المتناثرات على الطريق
ــ قلقون تأكلنا الظنون ..
انا من اكون ؟
ــ انا من اكون ، وفي الصدى صدأ الجواب
ــ انا ــ يا رفيق التيه ــ مثلك في اغتراب ..
شبح يطل على الوجود بلا ظلال
متماوجا .. ، في قلبه خفق الخيال ..
.. دمه ، وعيناه الفراغ ..
ــ انا يا رفيق التيه والبحث العنيد عن الجواب
قلق واضلاع وساعات طوال
لا شيء يملأني سوى الظن البليد
اطفو خلال هياكل الدخان في الصمت المديد
وامد الف يد لاعبث بالسراب
وعيون كل المارقين على الطريق
بيضاء يغشاها الضباب
خرساء اعياها الجواب ، وما الجواب ؟
انا من اكون ، وتستقر يدي على السور العتيق
لاشد انفاسي واحزم ما تبعثر من متاع .
ويجيش سخطي فالطريق بلا انتهاء ..
وحقيبتي جوفاء فارغة كاحشاء الجياع .
واظل ابحث ــ دون جدوى ــ في العيون
وخلال صمت الاوجه المتمزقات من اللهاث
عما اكون .. وما تكون .
ويجس صمتي صوتك الواني الرفيق
ــ انا يا رفيق التيه مثلك في اغتراب ــ
فاشدد يسارك للعروق تلوح في كفي اليمين
ولنقطع الدرب الطويل ... بلا سؤال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات عن الخيبة

قصيدتي الاخيره
مغمضة الجفنين تشكو ألم الاميره
تئن من هجير هذه الظهيره
تعانق الاوهام والسراب
وتشرب الانغام حينما تحس بالعذاب
يندى من دموعها الثقال
فتوقد الاحزان موقد الوصال
لتغسل الانين من منابع اللقاء

★★★

قصيدتي يجثو على انفاسها الوجوم
تناشد الدروب
تسائل الهموم
عن الذي يهز قلبه البعاد
وفي فيافي الرؤى
تناشد الرمال
يا عاشق الطحالب التي تنام بين ورسك العليل
جراحي الكثار
اصابها السهاد
ونفسي الحيرى اصابها السقام
وحرفي الراعش لا يدري متى ينام



مصطفى الياسين
البصرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات إسلامية

الشريعة الإسلامية

هل تأثرت حقاً بالقانون الروما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم
شاكر العاشور
جامعة البصرة

انه لما لا يخفى ، الدور الكبير الذي يلعبه المستشرقون العالميون في بعث الحضارة العربية والاسلامية ، ومن ثم تنشيط الفكر الحي في بقاع هذه المعمورة . فمن اكتشاف لاثارنا القديمة ، ودفعنا للحفاظ عليها .. الى تحقيق وتدقيق ما سلف من تراثنا الفكري ، وبذل الجهود العظيمة لاحيائه . كما انه مما لا يجب ان يخفى علينا ذلك الدور المشبوه والمسموم الذي لعبه ويلعبه فريق من المستشرقين ، وروجوا له ، للانتقاص من تراثنا الانساني الخالد ، الذي عجزوا ان يكون لهم ماض يضارعه . وفي الوقت الذي تلقى به سموم هؤلاء المستشرقين رواجا حاقدا ، منقادا وراء اباطيل براقة ، وحجج واهية ، نرى انفسنا مدفوعين ومحتاجين للرد على هذه الاباطيل البوهيمية بحجج مادية ومنطقية ، تثبت الطريق السوي والمنبع الصافي الذي استقينا منه تراثنا . لا سيما وان اباطيلهم قد تطاولت على جوانب واركان يستند عليها تراثنا العظيم اشد الاستناد .

فمن جملة الجوانب التي حاول هؤلاء المستشرقون الانتقاص من قيمتها ، وطعن حضارتنا وتاريخنا الفكري في الصميم ، كانت الشريعة الاسلامية .. تلك الشريعة التي لو اجتمعت جميع مفاهيم الانسان . واتسعت كل مدارك العقل البشري . لما كمل عملها كمال هذا التشريع السماوي الخلاق . فقد حاول بعضهم ربط الفقه الاسلامي بتأثره بالنظم العربية التي كانت سائدة قبل الاسلام ، وهذه النظم كانت متأثرة بالقانون الروماني . وقال بعضهم بان الرسول محمدا (ص) كان على علم دقيق بالقانون الروماني . وادعى اخر بتأثر فقهاء المسلمين بالقانون الروماني عن طريق اليهودية . وقال اخر بتان هذا التأثر قد تم عن طريق الثقافة الاغريقية ... وهكذا ، محاولين ما وسع لهم المجال والبهتان البرهان على كون الشريعة الاسلامية صورة مستنسخة ومعدلة من القانون الروماني . ولذلك ، فعلينا كمسلمين اوفياء للعهد ، ان نتساءل : يا ترى .. هل تم هذا التأثر فعلا ؟ .. والى اي مدى تم ذلك ؟ .. حقا انها لمعضلة كبرى .. ولكن ما دمنا نتمتع بمدارك عظيمة ، وحجج قوية ، وما دمنا قد استرددنا بعضا مما فقدناه من ثقافة في عصورنا المظلمة .. فلماذا لا نقف امام اتهاماتهم ، ونناقشهم بكل شجاعة وقدرة ؟ وقبل ان ندخل في ذلك .. ما هو القانون الروماني ؟

ما هو القانون الروماني ..

القانون الروماني هو مجموعة القواعد القانونية التي وجدت لتنظيم الحياة الاجتماعية في مدينة روما منذ تأسيسها سنة (٧٥٤ ق.م) . تلك القواعد التي تطورت واتسعت لتلبي بعد ذلك الحاجة التي فرضتها ظروف توسع الامبراطورية الرومانية ، التي انقسمت على مر التأريخ الى امبراطورية غربية ، واخرى شرقية . وكانت سوريا ومصر من الاقاليم التابعة للامبراطورية الشرقية قبل الفتح الاسلامي . وللحق والتأريخ نقول ان قواعد هذا القانون قواعد نادرة لو قيست بالنسبة لقدرة العقل البشري ، وهذا ما حققته الكفاءات العظيمة التي يتمتع بها العقل الروماني القديم ، وما اضفته عليه الثقافة الاغريقية ، واملته عليه الظروف المتباينة . فهو قانون على درجة من الكمال والدقة .. قانون لا تنكر اية دولة من دول العالم ان قوانينها تأثرت به ، واستقت من منابعه . لذا نراه يدرس في جميع جامعات العالم في فروعها التي تعنى بدراسة القانون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكمال القانون الروماني لا نقصد به تحقيق المبادىء الانسانية العادلة . بل نقصد الرقي والدقة في الصياغة . واتساع العقل المشرع له . لان المتضلع بدراسة هذا القانون يتأكد له بان قواعده تنص على بعض جوانب لا انسانية في معالجة بعض القضايا العامة والهامة . فهناك ما يسمح للدائنين الذين لم يوف لهم المدين دينهم ، يسمح لهم بقتل هذا المدين ، واقتسام جسمه بينهم . كما ان هناك ما يسمح للوالد ان يبيع ولده . والى جانب هذه القسوة التي يتميز بها القانون الروماني ، فان ثمة قواعد لا ترضاها العدالة في هذا القانون ، مثال ذلك اعتبار رب الاسرة مالكا لجميع حقوق اسرته بما في ذلك العوائد التي تعود على اولاده وبناته نتيجة اعمالهم ومواردهم ، وله حق التصرف بجميع ما تملكه الاسرة من اموال وبنين وبنات .

هذا من ناحية العرض الموجز لبعض ما يهمنا في القانون الروماني . وكلنا نلاحظ ان ثمة مفاهيم تختلف كل الاختلاف عن المفاهيم التي نصت عليها ودعت اليها الشريعة الاسلامية . اما من الناحية الدقيقة في الرد على ادعاءات المستشرقين المسمومة ، فسنقوم بعرض بعض الادعاءات،ومن ثم نقوم بالرد عليها ، بما لدينا من حجج وبراهين .

علم الرسول محمد (ص) بالقانون الروماني ..

يدعي كاروزي Carusi ان الرسول محمدا (ص) كان على معرفة دقيقة بالقانون الروماني الذي كان مطبقا في الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وعن طريق هذه المعرفة تسربت قواعد هذا القانون الى الشريعة الاسلامية (١) .

والواقع ان هناك حججا قوية نستطيع ان نواجه بها هذا الادعاء الباطل . اولها ان الرسول (ص) لم يسافر الى الشام غير مرتين امتدتا الى وقت قصير جدا ، حيث كانت سفراته لاغراض تجارية ليس الا . سفرته الاولى كانت مع عمه ابي طالب ، وكان عمره انذاك حوالي تسع سنوات . والثانية قام بها يوم كان عمره حوالي الخامسة والعشرين . وفي هاتين السفرتين القصيرتين لا يمكن لاي انسان ان يقول بتعلم الرسول (ص) القانون الروماني ، او حتى الاحاطة ببعض قواعده . ذلك لان القانون الروماني قانون عظيم الاتساع ، كثير الشكليات ، التي كانت غريبة جدا عن صياغة اكثر القوانين التي عاصرته .

والحجة الثانية التي نستند اليها في مواجهتنا لهذا الادعاء ، هي ان السلطات في الشام كانت قد حددت اماكن معينة للتجار العرب ينزلون فيها دون سائر البلاد ، كالعقبة وغزة وبصرى (٢) . كما ان معرفة هؤلاء التجار بلغة اهل البلاد ، لم تكن لتتعدى لغة التجارة .

اما الحجة الثالثة فهي ان الرسول (ص) كان اميا ، لا يعرف قراءة حتى لغته العربية ، ولا يعرف كتابتها . وذلك ما دلنا عليه القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » . فكيف يتم لامي مثل رسولنا الكريم ان يتعلم قراءة قانون كتب بلغة غير لغة بلاده التي لا يعرفها حتى قراءة . ثم ان المحيط الذي ترعرع فيه النبي (ص) كان عربيا محضا ، واهله عرب خلص ، معتزون بتراثهم وصفاء كرامتهم . فمن اين لرجل نشأ في احضان هذا المحيط ان يلم بلغة اجنبية دخيلة . ويتعلم قانونها ؟

تأثر الفقهاء المسلمين بالقانون الروماني عن طريق اليهودية ..

اما العميد **لامبير** Lambert وهو من كبار رجالات القانون فيقول : « انه لما لا شك فيه ان القانون الروماني اثر في الفقه الاسلامي . ولكن هذا التاثر حدث غالبا عن طريق التلمود (٣) » . ويسانده **بذلك دارت** Darete بقوله : « اعتمد البناء القانوني الذي اقامه العرب على القانون العربي الوطني بعد تعديله وتصحيحه في اكثر من موضع على يد الرسول محمد (ص) وبعد تطوره بادخال بعض العناصر المستعارة من اليهودية (٤) » .

وامام هذه الحجج الواهية من اساسها ، نجد في انفسنا الشجاعة الكافية للرد عليها ، فنقول :

١ — ان المتضلع بدراسة القانون الروماني ، ومبادىء القانون اليهودي ، يرى حقا ان القانون الروماني اثر بالقانون اليهودي، خلال العصر التقدمي والعلمي للقانون الروماني ، وذلك باستعارة بعض المصطلحات منه . اما في العصر البيزنطي — والذي يدعي المدعون ان فيه تأثرت شريعتنا الحنيفة بالقانون الروماني — فقد حدث العكس ، حيث ان القانون اليهودي هو الذي اثر بالقانون الروماني ، عن طريق بعض الانظمة (٥) . والاكثر من ذلك فان الدكتور صوفي ابو طالب يقول : لنفرض جدلا ان القانون الروماني اثر بالقانون اليهودي ، فكيف يمكن ان يثبت لنا المستشرقون تاثر شريعتنا الاسلامية بالقانون اليهودي . ثم انه لا يوجد فقيه اسلامي من اصل يهودي .

٢ — ان القانون اليهودي ، معتمد كل الاعتماد على مبادىء الدين اليهودي السماوي ، وبذلك فله مصادره الخاصة به ، والتي لا تمت للقانون الروماني باية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صلة . فكيف نستطيع ان نتقبل الرأي القائل بتاثر دين سماوي بتشريع من وضع البشر . ثم ان المسلمين غير ملزمين باتباع الشرائع السماوية السابقة على شريعتهم ، الا بعد ان يأمر الشارع بذلك . وهذا ما لم يحدث .

٣ ــ كما ان ما نعرفه عن النظم القانونية عند اليهود يختلف اختلافا كليا عما جاءتنا به الشريعة الاسلامية ، ويختلف ايضا عن النظم العربية قبل الاسلام . ثم ان الاسلام جاء ليقضي على براثن الجاهلية ، لا ليستقي من منابعها . فلو أخذنا نظام الزواج مثلا ، وقارناه بين مبادىء التشريع الاسلامي وبين القانون اليهودي لرأيناه متباينا بينهما . اذ نجده عند اليهود لا يتم الا باستعمال عبارات عبرية معينة ، وتشترط فيه الكتابة ، ويجب ان يقدس بالصلاة وحضور عدد من الرجال ، ولا يجوز عقده في الاعياد وايام السبت ، اما من نتائجه فان اموال الزوجة يجب ان تؤول الى زوجها ، ولا يجوز لها التصرف بمالها بعد الزواج. اما نظام الزواج عند المسلمين ، فانه خال من كل هذه الاجراءات والشكليات ، حيث يجوز ان يتم عقده بأية لغة كانت ، ولا يشترط ان تؤول أموال الزوجة لزوجها ، بل العكس هو ما يطلبه الشارع الاسلامي ، فانه دائما يسعى الى ان تتحقق العدالة بين الزوجين .

اما بالنسبة للطلاق عند اليهود فهو كذلك متباين عنه في الاسلام . فالطلاق عندهم لا يكون من حق الزوجة مهما كانت الاسباب والدوافع ، كما انه يتم عند اليهود بتطليقة واحدة . وبكل ذلك يجب ان تتم شكليات الزواج . وكل ذلك لا تجده عند المسلمين .

وفي الميراث تتجلى صورة الاختلاف في المبدأ بين القانون اليهودي والشريعة الاسلامية ، حيث ان الذكور في القانون اليهودي يحجبون الاناث عن الميراث، فيضيع حقهن . اما اذا لم يوجد الذكور ، ففي ذلك الوقت فقط يتم توريث الاناث . ولكن ما قدمته لنا الشريعة الاسلامية حول الارث فمختلف عما عند اليهود . فالاناث في الاسلام يرثن في الحالتين ، فحتى عند توافر ذكور في الورثة ، فان البنت يصيبها نصف ما يأخذه الذكر من الميراث ، وذلك حفظا لمبدأ العدل . اما الذكور فانهم متساوون في مقدار حصصهم من الارث عند المسلمين . بيد انهم في القانون اليهودي مختلفون في ذلك . حيث يأخذ الاخ الاكبر ضعف ما يأخذه اي من اخوانه من الارث .

هذه هي اهم النظم التي جاءنا بها الاسلام ، واختلفت بها فتاوى الفقهاء ، فأين تأثرها بالقانون الروماني عن طريق اليهودية ؟

تأثر الفقهاء المسلمين بالقانون الروماني عن طريق الثقافة الاغريقية ..

اما البروفسور **شاخت** Schacht فيدعي : **« ان الفقه الاسلامي لم يوجد بالحالة التي نعرفه بها طيلة القرن الاول الهجري .. واول مركز لهذا النشاط العلمي لم يكن في المدينة بل كان في العراق .. وان القرن الاول الهجري يمثل من الوجهة القانونية فراغا كبيرا بحيث استطاعت الثقافة البزنطية ان تتسرب عبره الى المتسلمين »** . كما يستأنف ويقول : **« ان نسبة كبيرة من الذين اعتنقوا الاسلام من سكان البلاد التي فتحها المسلمون خلال القرنين الاول والثاني كانوا ينتمون الى الطبقة العليا في المجتمع ، وكانوا مثقفين بالثقافة الاغريقية .. والى هؤلاء الاشخاص ــ الذين كانوا بكل تأكيد غير متخصصين في علم القانون ــ يرجع كثير من الافكار الاغريقية ، التي تسربت الى الفقه الاسلامي »** .

وازاء هذه الحجج الباطلة نستطيع ان نجابه **شاخت** ونقول له :

نحن معك في ان الفقه الاسلامي في قرن الهجرة الاول كان في بداية طريقه ، ولكن مجاله لم يكن فراغا كما تصورت . حيث ان ما وصلنا من اجتهادات الصحابة والتابعين ، وتخطيطهم لبعض المسائل الفقهية ، حجة دامغة لحججك الواهية . فقد علمنا ان مبشرات مدارس الفقه الاسلامي قد ظهرت في هذا القرن ، حيث بدأ بعض الصحابة بتنفيذ اوامر الرسول (ص) حسب ما يفسرها كل منهم ، وبعد ذلك يعلمون الرسول (ص) بما فعلوا ، فيقر صائبهم على صوابه ، ويقوم الخطأ . واجتهادات الصحابة والتابعين هي التي كانت النواة التي ترعرعت عبرها مدارس الفقه الاسلامي . فكل مدرسة تأثرت برأي صحابي استقى علمه من كمال الرسول ، او برأي تابع عاشر من عاشر رسول الله (ص) . ثم ان الفقه في هذا القرن كان شحيحا لاسباب معينة ، منها ان الرسول (ص) كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لما يزل حيا في اوائله ، وبعد موته ترك لهم من الاحاديث والفتاوى ما كان يسد حاجة الدولة الاسلامية في مساحتها القليلة قبل الفتح . وبالرغم من كل ذلك فان الخلفاء الراشدين — كما حدثنا عنهم التأريخ — كانوا يجمعون بعض فقهاء الصحابة والتابعين ليعطوا اراءهم في مسألة مسكوت عنها القرآن والسنة ، وهذه الاراء اصبحت — بعد اجماع المسلمين عليها — مصدرا ثانويا من مصادر التشريع الاسلامي ، عرف«بالاجماع» ومن جملة اجتهادات الصحابة في هذا القرن : ايقاف حد السرقة في بعض الحالات ، وتسعيرهم للسلع ، بعد ان امتنع الرسول (ص) عن تسعيرها ونراهم لم يعطوا نصيب المؤلفة قلوبهم لانتفاء الحاجة لهم ، ونراهم يوقفون اقامة الحدود في الحرب .. الخ . اذاً فقد كان ثمة فقه في هذا القرن على الرغم من قلة الاجتهاد .

اما ما يدعيه **شاخت** من ان الفقه ظهر اول ما ظهر في العراق ، فهذا افتراء على التأريخ ، اضافة الى كونه باطلا بالنسبة للامام بتطور الفقه الاسلامي . حيث لا يمكن ان يكون العراق قبل الفتح الاسلامي له، موطنا فقهيا اسلاميا يسبق بالتفقه عاصمة الخلافة الاسلامية (المدينة المنورة) . فهي دار العلم الاولى بالنسبة للدين الاسلامي وللصحابة ، وفيها بدأ التشريع الاسلامي بمعالجة مشكلات الحياة الدنيا .

كما انه من المنطق ان ننفي تسرب الثقافة البيزنطية الى المسلمين في القرن الاول الهجري . وذلك لان الوحي السماوي المنزل عليهم كان لما يزل يغلي في عروقهم ، وكانوا يرون فيه التشريع العادل والكامل . ثم انهم كانوا من الايمان الشديد بحالة ينكرون فيها كل ما هو خارج عن تعاليم دينهم ووصايا الشارع .

اما من قال عنهم من الذين اعتنقوا الاسلام من غير العرب عن طريق فتح المسلمين لبلاد كثيرة ، فان هؤلاء مهما كانوا على جانب من الثقافة الاغريقية فانه يستحيل عليهم ادخال ثقافتهم هذه في مصادر التشريع الاسلامي . حيث ان الفقه ملزم باتباع المناهج التي رسمها له الشارع . فالفقه هو العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية بطريقة الاستدلال . اذن فهم ملزمون بنصوص القرآن والسنة ، وليس لهم ان يتصرفوا كما يحلو لهم . واخيرا فهل يستطيع **شاخت** ان يذكر لنا بعض الاسماء المثقفة التي دخلت الاسلام واثرت في فقهه (٦) .

تأثر الاوزاعي بالمدارس الرومانية في سوريا ..

كما يدعي بعض المستشرقين ، امثال **فون كريمر وشيلدون آموس** بان الامام الاوزاعي بحكم وجوده في الشام ، قد تعلم نظم القانون الروماني عن طريق مدرسة بيروت الرومانية التي استمرت تدرس القانون الروماني حتى بعد الفتح الاسلامي (٧) .

واخراس هذه الاتهامات لا يكلفنا اكثر من ان نقول لهم : **لقد ورد في حوليات ميخائيل السوري ان مدرسة بيروت قد انقرضت في سنة (٥٥١ م) ، حينما اصاب مدينة بيروت زلزال فدمرها ، حتى فتحها المسلمون . وولادة الامام الاوزاعي كانت في حوالي سنة (٨٣٨ م) ، اي ان الفرق بينهما حوالي ثلاثة قرون . فكيف تسنى له ان يدرس القانون الروماني .**

ثم ان الامام الاوزاعي مشهور بانه من المتمسكين بالحديث والنص ، ومن الذين ينفرون من القياس والاخذ بالرأي . والاكثر من ذلك ان مذهب الامام الاوزاعي من المذاهب المندثرة . كما ان ثمة تشابها بين بعض الاحكام التي وردت في القانون الروماني والتشريع الاسلامي . اتخذ منها الحاقدون مجالا للطعن في الشريعة الاسلامية . ونحن اذ نناقش هذه الاتهامات لا نقول لهم سوى ان مبادىء العدالة قد يكون لها اثر كبير في تشابه هذه الاحكام . فالتفكير الواعي ربما اتفق على حكم معين في تشريعين او اكثر . وهذا ما نجده منتشرا في اغلب قوانين ودساتير العالم . فلو ان دستور الجمهورية العربية المتحدة ، مثلا ، نص على حقوق وحريات الافراد ، فهل نستطيع اتهامه بالسرقة من نصوص دستور الولايات المتحدة الاميركية . لا .. احكام منطقية تفرض نفسها على العقل والتفكير ، مهما تباينت ادراكاته .

واخيرا فانه يمكننا ان نقول بان الشريعة الاسلامية نسج خاص لوحدها ، ومستقلة تمام الاستقلال عن غيرها من الشرائع ، مهما ادعى المنافقون . وذلك ما قرره مؤتمر القانون المقارن بلاهاي عام ١٩٣٧ .

★★★

(١) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ـ الدكتور عبد الكريم زيدان ، ط ١ ، ص ٧٥

(٢) المدخل للشريعة والفقه الاسلامي — عبد اللطيف الحسن ، ط ١ ، ص ٢٤ .

(٣) بين الشريعة والقانون الروماني — الدكتور صوفي حسن ابو طالب ، ص ٦٠

(٤) عبد اللطيف الحسن — المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٥) الاستاذ عبد اللطيف الحسن — المرجع السابق ، ص ٢٨

(٦) عبد اللطيف الحسن — المرجع السابق ، ص ٣٠

(٧) المدخل لدراسة الفقه الاسلامي — المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى ص ٨٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حول ديوان الفجر الزاحف

بقلم : حميد راشد الصباغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول ديوان

الفجر الزاحف

الفجر الزاحف هو الديوان الاول للاستاذ عبدالله محمد الطائي وقد صدر في الصيف الفائت . وهو مجموعة من القصائد قيلت في مناسبات مختلفة ، ويغلب عليها الطابع الاجتماعي الواضح ، وتبرز من خلالها واقعية الشاعر ووطنيته واتجاهه القومي القوي .

وفي ديوانه انشادة واضحة رقوية بالحركة الوطنية في وطنه عمان . ولا غرابة في ذلك فحياة الشاعر كانت سلسلة من الكفاح ضد الاحتلال . فجاء شعره دعوة صادقة الى مكافحة الاستعمار ، وصورة معبرة عن اوضاع بلاده واوضاع الخليج العربي .

كان شاعرنا رائدا من رواد الحرية في بلاده ، كما كان مصلحا اجتماعيا وداعية وطنية .

عندما اخفق في تغيير اوضاع بلاده ، لم يجد بدا من الهجرة حيث عاش فترة طويلة من شبابه في البحرين ، وشارك خلالها في نهضتها الادبية .

ولعل حبه لبلاده وحنينه اليها وايمانه المطلق بالحرية ، ودعوته الواضحة الى محاربة الاستعمار والظلم والاستبداد هي اهم اغراض الديوان .

وتأتي بعد ذلك قصائد متناثرة هنا وهناك في التهنئة والتحية والمجاملة والعزاء . وهذه القصائد خالية من التكلف او التقليد ، وهي كما يبدو صادرة من وحي طبيعته . وقد اتسمت شاعريته بالعطاء فشملت الوانها مظاهر الحياة المختلفة . فجاء ديوانه صورة معبرة لما تجيش به نفسه من مشاعر وعواطف واحاسيس زاخرة بالوطنية والحنين والحرية .

واول ما يلقانا في شعره حنينه الى وطنه واهله وهو عنصر قوي ونابض بالحياة :

أحب عمان وأهفو الى
نجوم باجوائها تلمع
وكم لي معها احاديث من
معين المنى خلتها تنبع
واكرم باهلي من اسرة
وكم حز في النفس ان يقطعوا
احاديثهم حلم مر بي
فعانقه القلب والمدمع

ولعل حبه لبلاده وحنينه اليها يتجلى بقوة في هذه الابيات الرائعة والزاخرة بالعواطف الانسانية الحية :

ابدا على عيني وملء فؤادي
تبدو رؤاها رائحا او غادى
فكأنما هي للفؤاد نجيه
وكأنها للعين نور هادى
أحيا على الذكرى فان فارقتها
أمسى منامي مثل شوك قتاد
وأكاد ألفظ كل حين اسمها
خوفا من الازمان والابعاد

ان ذكراها حية في وجدانه وماثلة امام ناظريه وانه ليتيه بحبها وينشد وصالها فيقول :

فارقتها جسما وعشت خليلها
ذكرا يقض مضاجعي ووسادي
ليلاي قد طال البعاد فاشفقي
فأنا الى عهد التواصل صادى
كر الزمان وزلزلت اصداؤه
جلدي وأصمت بالفراق فؤادى
الشوق يدعوني اليك مدللا
فاراك طيفا يستفز رقادى
والقلب يغريني بوصلك ليلة
فأبيت واسمك في الدجى اسادى
مالى انا صب يعيش بوادى
وحبيبه عنه يعيش بوادى

وامتزج شعر الحنين الى الوطن عنده بنغمات الوطنية والقومية العارمة :

نحن هنا ان يحن الموعد
ويبعث الصرخة مستنجد
نحن هنا بين شواطئنا
نوقظ او نقبر او نرشد
على امتداد الافق اهدافنا
رنا اليها الموج والفرقد
نسابق الدهر الى مطلب
من منبع الامجاد يسترفد
ونبعد التثبيط عن أنفس
ليس لها الا العلى مقصد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتألم وتثور نفسه لما تعانيه بلاده من ظلم وهوان وما يعانيه ابناؤها من غربة وتشرد :

في موطـــن أحوالـــه
سوداء حالكـــة الســواد
في موطـــن ابنـــاؤه
بـــين اغتراب واضطهـاد

ويقول :

اذا عجز الحر عمـــا يروم
وعز عـــلى نفســـه موضع

فخير لـــه ان يجوب الفـلاة
فـــلا هو ينظر او يسمـــع

وقد ذاق مرارة الظلم والعسف وقضى شبابه في الهجر :

يا دهر هل ابقيت سهما لم يصب
قلبـــا لكثرة مـا رميت تفطرا
وعلى سماتي من مسيل نجيمـــه
اثر مـــن الالـــم المبرح عبرا
اذويت زهر شبيبتي في بدئـــه
وحكمت ان أحيـا معاشـا اتبرا
جـــاوزت حد الاربعين ولم يزل
عيش التشرد لي نصيبـــا قدرا

لقد جبلت نفسه على كره الظلم والتصدي له وتقديس الحرية ونشدان الخير لبلاده وقومه ، فما عاد يبالى التشرد والغربة .. لان العيش على الظلم عذاب لا تحتمله نفسه . فكان الوداع :

ودعتـــه وعـــلى فؤادي حسرة
لمـــا تزل تبدو جحيمـــا مسعرا
وتركت فيـــه عشيرتي ومرابعي
ولو استنمت لنلت حظـــا وافرا
لـــكنني فضلت عيش تشـــرد
من أن ارى وطن حمـــاه مزدرى

انـــه شعر يفيض بالشكوى المرة من الدهر وصروفه :

يا دهر قـــد خادعتني فرميتني
ظلمـــا وكنت بصفو سلمك اجدرا
فلكم طويت على الهموم سريرتي
وظهرت أقـــدر مـــا يكون واصبرا
ما ان لمحت معيشـــة في موطن
حتى سعيت موافقـــا ومشمرا
فأتيتني بالنكد بـــين مباهجي
من مأمني فقطفت ظنـــا منكرا

كانت مشاركته لشعبه في احزانه وافراحه مشاركـــة وجدانية فوقف الى جانبه يتألم لالامه ، وتتوق نفســـه الى ذلك اليوم الذي ينعم فيه بحريته :

اعمان قـــد جمع الزمان صروفه
لكننـــا في الحب لن نتغـــيرا
انت المرام لمـــن اراد معـــزة
انت المقـــام فعنـــك لن نتخيرا
ولكـــل فرد من بنيـــك معزة
في القلب ان اوفى لنـــا او قصرا

اذن لا مناص من التشرد وتحمل الغربة وآلامها استعدادا وارتقابا لبزوغ الفجر الجديد ، فجر الثورة والسير في ركاب العروبة .

فعلى المواطن ان يـــذل بغربـــة
حتى يرى افق التجمـــع مزهرا
فيعيـــد للوطن العزيز تليـــده
ويرى بنوه كفاحهم قـــد أثمرا
ويسير في ركب العروبـــة جاهدا
حكما وشعبـــا واثبـــا متصدرا

وينبه مواطنه الى ما يحيط به من اخطار وما يعترض طريق كفاحه من عقبات . فكان نداؤه لـــه ان يخلى الوعود والخطب الرنانة وينطلق الى العمل المثمر فبه وحده يحصل على حريته والحرية لا تستجدى وانمـــا تسترد بالكفاح والعمل المتواصل :





أخي ايهـــا العربي الغيور
دعوتـــك دعوة حـــر نقى
دعوتـــك للوطن المستضـــام
دعوتـــك للخطر المحـــدق
وقد طـــال ليل الهوان المرير
وفجر الكرامـــة لـــم يغلق
وخـــل الوعود وخـــل الخطاب
نطقنـــا طويلا ولم نصـــدق
وهيـــا الى العمـــل المستمر
فـــان التفـــاخر للاسبق

واذا تركنا شعر الحنين والوطنية والحرية ... وجدنا قصائد في التهنئة والعزاء والتحية والمجاملة .

ففي قصيدة قبيل الرحيل يحيى الشاعر البحرين وشعبها المضياف ، ويشيد بامجادها العظيمـــة .
وفي وداعه مسحة حزن والم وشكوى من المحتل الغاصب:

وداعا بـــلاد الخير والمجد انني
نأيت على رغمي وفي كبدي ظمـا
وداعا أوال العرب لا القلب مسعف
ولا النفس ترضى لا ولا الخطو اقدما
ولكنه ارهاب من جـاء قاطعـــا
بحارا بتشريدي وهجرك حتمـــا

وفي الديوان اكثر من اشارة قويـــة لكثير من المواقف العربية ، فعندما اعتدى المستعمر على بور سعيد ، حيا الشاعر المدينة الباسلة واشاد بشجاعة شعبها :

أبور سعيـــد يـــا سكنـا
لكـــل مظفر العلـــم
فيـــا تاريخنـــا سجـل
ويا غدنـــا لنـــا ابتسم
فبور سعيـــد قدوتنـــا
لزحف ثـــابت القـــدم

كما اشاد بثورة العراق المجيدة على الظلم والطغيان :

قد كشفتم بني العراق الستارا
فمحوتم عن العروبـــة عـــارا
ووثبتم عـــلى الطغـــاة وثوبا
صار في منهج الكفـــاح شعارا

وايمانه بالقومية العربية ووحدة المصير العربي دعاه الى المشاركة بشعره في جميع الاحداث العربية .
فعندما نفت فرنســـا ملك المغرب حياه بشعره واشاد ببطولاته :

روعت مـــراكش فـــانتفضت
تعقـــد العزم وهاجت بركانا
قادهـــا نحو مناهـــا ملك
فهم الملك جهادا وصيانـــا
قـــدوة الاحرار كم نكبر مـــن
خصلـــة فيـــك وكم نرفع شأنا

ويذكر العرب بفلسطين واغتصاب اليهود لها ويدعوهم الى وحدة الصف وتوحيد الجهود لتخليصها من اليهود :

هذي فلسطين أتاهـــا أهلهـا
والغاصبون قـــد احتواهم مركب
انا هنـــا نحيـــا على آمالنـــا
ونشيـــد للنصر المبـــين ونرقب
فالى اللقا في ارضنـــا والى الوغى
يجلو بشدتها الدخيـــل وينكب
والى اجتماع الشمل في اوطاننـــا
فيعود من قـــد شرقوا او غربوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونشيد مجدا للعروبـــة ساطعا
وعن المكـارم والمعـــالي يعرب

وقد شارك الكويت في مصابها الاليم فرثى أميرها الراحل الشيخ عبدالله السالم باني نهضتها وباعث مجدهـــا واشاد بأعمال الفقيد وما خلفه وراءه من ذكرى طيبة :

دمعي اليوم يـــا يراع مدادي
وبيـــاني حشاشـــة من فؤادي
المـــلاذ الامين انـــا فقدنـــاه
فمـــــاذا بقي لبعض العوادي
حاربتنـــــا مصائب الدهر حتى
أفقدتنـــا منـــارة الامجـاد
انت اسست للكويت عـــــلاه
فالتقى طـــارق بخير تـــلاد
وحيـــاة الفقيد كـــانت طريقـا
لخلود عـــلى مـــدى الابـــاد

كان متفهما لقضية المراة ومدركا لاهمية دورها في بنـــاء المجتمع وتقدمه ، فنادى بتعليمها والنهوض بها اجتماعيا وعقليا ، وبهذه الروح استقبل اول فوج من فتيـــات الشارقة ينهين دراستهن الثانوية في الكويت :

المشرقنـــات بشمس علم نير
والعائدات كعزمهن مضـــاء
فتياتنـــا بالفوز نلتن المنـــى
وبهـــا تنلن الفخر والنعمـــاء
يا امنا الكبرى عمـــان تفاءلي
فالعلم سوف يبـــدد الظلمـــاء

وحيا المناضلة جميلة واعتبرها مثالا صادقا وصورة مشرفة للفتاة العربية :

كم قـــد سمعنا عن مآثرهـــا
تـــردد في الشفـــــاه
ولكم جعلنـــاها منـــارا
في ديـــاجير الحيـــاه
ولـــكم دعونـــا بنت يعرب
ان تسـير عـــلى هـــداه
ردي فتـــاة العرب مـــا
قـد ضـــاع من آمالنـــا
فعـــلى يديـــك نشيـد مـا
نرجوه مـــن أجيالنـــا

وبعد هذا العرض لقصائد الديوان نستطيع ان نقول ان قصائده مستكملة للوحدة العضوية ومتسمة بالجزالـــة اللفظية وقوة السبك .

كتابة على قبر عائشة

عبد الوهاب البياتي

يا راكبا نجران
بلغ ندامای اذا ما طلع النهار
واقتحمت مدينة الموتى خبول النار
وشط بى المزار
« ان لا تلاقيا » ولا لقاء
وابك على طفولتى أمام صمت القبر
وقف على أطلال هذا القلب
مصليا للرب
فمن هنا أقبلت
ومن هنا رحلت
فى عربات الفجر
أحمل أسمالى معى للقبر
وحسرة الأرض التى لم يغسل المطر
جبينها الشاحب فى السحر
ولم تذق حلاوة القبل
فى حمرة الطفل
ولم يضاجع عريها أحد
فهى هنا حارسة الموتى الى الأبد
تنمو على صخورها الأعشاب
وينعب الغراب

عن الرسيلة « المجلة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحقيق
لسان العرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابدأ هنا من حيث انتهيت في (مجلة المجلة) القاهرية الى التحقيق ذى الرقم ١٤٢ من سلسلة المقالات الخمس التي نشرت فيهـــا بالأعداد ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧ . وتتناول ما في الأجزاء الثلاثة الأولى من الأجزاء العشرين ، مسقطا من تحقيقاتي الخاصة ما تناوله العلامة المغفور له « أحمد تيمور باشا » في تصحيحاته التي نشرها في مجلدين صغيرين ، كما أشرت الى ذلك في مقدمة هـــذه التحقيقات التي نشرت في مجلة المجلة . وهذه صلة ما إنقطع :

١٤٣– (لوح) ٤٢١ س ٩ وبيروت ٥٨٥ والمخطوطة : « ولوح الكتف : ماملس منها عند منقطع غيرها من أعلاها » . وكذا في تاج العروس . والصواب « عَيرها » بالعين المهملة ، وهو العظم الناتىء .

١٤٤– (متح) ٤٢٤ س ٢٢ وبيروت ٥٨٨ ومخطوطة ابن منظور قول ذى الرمة :

ذمام الركايا أنكرتها المواتح

إنما هي « أنكزتها » بالزاى ، كما في ديوان ذى الرمة ١٠٣ واللسان (نكز ، ذمم) . أنكزتها : أنفدتها . وصدر البيت :

على حميريات كأن عيونها

١٤٥– (مرح) ٤٢٩ س ١٠ وبيروت ٥٩٢ والمخطوطة قول الطرماح :

سرت في رعيل ذى أداوى منوطة بلباتها مدبوغة لم تمرّح

هذا ما وقع في اللسان ، وهو صحيح على علاته ، لأنه أورده في (مرح) ، وكذا وقع في أساس البلاغة (مرح) ، لكن صواب روايته « لم تمرخ » بالخاء المعجمة كما في ديوان الطرماح ١٣٦ والمزهر ٢ : ٣٨٤ . وهذا أحدما أخذعلى الخليل في تصحيفات كتاب العين المنسوب اليه ، ونبه عليه السيوطي ، ويجب أن يبقى في نسخة اللسان مصحفا كما هو بالخاء المهملة ، مع التنبيه على خطئه . ومما يجدر ذكره أن صاحبي اللسان والأساس لم ينبها عليه في مادة (مرخ) .

١٤٦– (مسح) ٤٣٣ س ٢ وبيروت ٥٩٥ : « قيل له فإيشْ هو عندك » . وهذا خطأ شائع فاضح ، صوابه « فأيْشٍ » أي فأي شىء ؟ وقد تكلمت العرب به قديما ، نصّ عليه ابن السيد في شرح أدب الكتاب . وقال السهيلي : « وأيشٍ في معنى أى شى » كما يقال ويلُمّه ، في معنى ويل لأمه على الحذف ، لكثرة الاستعمال . أنظر شفاء الغليل ١٥ والمعجم الوسيط . ومن أقدم استعمالاته عند العلماء ما ورد في اللسان (أنس) : « قال الفراء : قلت للدُبيري : أيْشٍ كيف ترى ابن إنسك » . ومن أقدم استعمالاته ما عثرت عليه من قول المجنون (في الأغاني ١ : ١٧٤) :

قالوا جننت على أيشٍ فقلت لهـا الحبُّ أعظم مما بالمجانين

والكلمة مهملة الهمز والضبط في المخطوطة هكذا « فايش » .

١٤٧– (ملح) ٤٣٩ س ١٢ وبيروت ٦٠١ والمخطوطة : « عن أبي النجيب الربعي » صوابه « عن أبي المُجيب » . وأبو المجيب هذا أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابي انظر فهرست ابن النديم ١٠٣ والبيان للجاحظ ١ : ٣٧٣ و ٢ : ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، و ٣ : ١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٧٢ .

١٤٨– (ملح) ٤٤٤ س ١٩ وبيروت ٦٠٦ والمخطوطة : « والملح بالتحريك : ورم في عرقوب الفرس دون الجَرَد ، فاذا أشتدّ فهو الجَرَد » ، صوابه « الجَرَذ » بالذال المعجمة في الموضعين كما في اللسان والقاموس (جرذ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤٩– (منح) ٤٤٦ س ٤–٧ وبيروت ٦٠٧ : « كما تمنح المرأةُ وجهَها المرأةَ » كقول سويد بن كراع :

تمنح المرأة وجها واضحاً مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

إنما هو « وجهَها المرآةَ » ، هذه الثانية بالمد ، وكذا في نص البيت ، صوابه « تمنح المرآةَ » . والكلمتان مهملتا الضبط والنقط في المخطوطة . وعلى هذا الضوء يصحّح الشرح بعده : « من حسنها للمرآة » لا « للمرأة » . ونسبة البيت الى سويد بن كراع خطأ يجب أن يبقى في النسخة كما هو ، ولكن ينبه على أن صوابه « سويد بن أبي كاهل » والبيت من قصيدته المفضلية المشهورة في المفضليات ١٩٠ – ٢٠٢ .

١٥٠– (ميح) ٤٤٨ س ٩ وبيروت ٦٠٩ « وقال ابن فسوة يذكر ناقته ومعذرها » . وفي س ١١ : « الهاء في ذفراه للمعذرِّ » صوابه « معذَّرها » و « للمعذَّر » بفتح الذال المشددة فيهما . والمعذَّر موضع العِذار من الدابة . وهو من اللجام ما سال على خدّ الفرس . والكلمة مهملة الضبط في المخطوطة .

١٥١ – (نجح) ٤٥١ س ٢٥ وبيروت ٦١٢ والمخطوطة . قول ابن ميادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك شغولي
ولا أن تكون النفس عنها نجيحة بشيء ولا ببديلِ

صواب ما في البيت الأول « شغولُ » كما في اللسان (شغل) ومجالس ثعلب ٣٤ . أما البياض في البيت الثاني فهو « ولا أن ترتضى ببديل » . ولا بأس بالإقواء في البيت الثاني . وفي القاموس (قوو) : « وقلّت قصيدةٌ لهم بلا إقواء . » .

١٥٢– (نشح) ٤٥٤ س ١٣ والمخطوطة قول ذي الرمة :

فانصاعت الحُقبُ لم تقصّع ضرائرها وقد تشحن فلارىٌ ولا هيم

صوابه « صرائرها » بالصاد المهملة كما في ديوان ذي الرمة ٥٨٨ واللسان (صرر ، قصع) عند انشاده . وقال في اللسا (صرر) « والصارّة : العطش . وجمعه صرائر نادر » . ك الكلمة صحيحة بالصاد المهملة في طبعة بيروت ص ٥١٦ .

١٥٣– (نصح) ٤٥٦ س ٢ وبيروت ٦١٦ قول النابغة :

أبلغ الحارث بن هند بأني ناصح الجيب بازل للثواب

هي « باذل » بالذال المعجمة كما في المخطوطة .

١٥٤– (نصح) ٤٥٦ س ٢١ وبيروت ٦١٧ قول ابن مقبل :

ويُرعِد إرعادَ الهجين أضاعه غداة الشمال الشُمرُخُ المتنصّح

صوابه « ويُرعَد » بالبناء للمجهول كما في المخطوطة . وكذلك « الشمرُج » بالجيم لا بالخاء وإن وردت في المخطوطة بالخاء المعجمة . يقول : هذا الفرس يُرعَد لحدته وذكائه ، كما يُرعَد الرجل الهجين . والرِّعدة وكثرة الحركة مما يُمدح به الخيل .

١٥٥– (نصح) ٥٤٧ س ١٣ وبيروت ٦١٧ والمخطوطة : « والرُّبِح : القرود » ، صوابها « القرد » . وفي اللسان (ربح) : « والرَّبَح والربّاح بالضم والتشديد جميعا : القرد الذكر » .

١٥٦– (نضح) ٤٦٠ س ١٦ وبيروت ٦٢٠ قول أبي طالب :

بورك الميّتُ الغريب كما بو رِكَ نَضحُ الرمان والزَيتونِ

صوابه « والزّيتونُ » بالرفع . انظر مقاييس اللغة (نضح) . والنون مهملة الضبط في المخطوطة . والبيت من أبيات في ديوان أبي طالب بالورقة ٧ من مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب المصرية ، يرثى بها مسافر بن أبي عمرو ، وأولها :

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ ـرٍو وليتٌ يقولها المحزونُ

١٥٧– (نفح) ٤٦٤ س ٩ وبيروت ٦٢٤ والمخطوطة « هو شيء يستخرج من بطن ذيه » ، وقد كتب إزاءها في المخطوطة : « أي صاحبه » بخط ابن منظور نفسه ، فهذا الشرح واجب الإثبات وإن يكن المؤلف لم يضع له علامة إلحاق .

١٥٨– (نقح) ٤٦٥ س ٧ وبيروت ٦٢٥ وكذلك تاج العروس قول أبي وجزة السعدي :

طورا وطورا يجوب العُفْرَ من نقَح كالسَّنْدِ أكباده هيمٌ هراكيل

صوابه « العُفْر » بالفاء كما في المخطوطة ، والأعفر : الابيض وجاء في التفسير بعده : « أراد بها البيض من حبال الرمل » .

١٥٩– (نوح) ٤٦٧ س ٥ وبيروت ٦٢٧ قول أبي ذؤيب :

فهنّ عكوف كنوح الكريـ ـم قد شف أكبادَهنّ الهَوَى

ووردفي اللسان (هوى) : « الهويُّ » باسكان الياء المشددة ، وصوابهما « الهوِيُّ » بكسر الواو وضم الياء المشددة كما في المخطوطة وديوان الهذليين ١ : ٦٧ . والهوِيُّ : المهوِيُّ ، أي شف أكبادهن فقد من هويه . وأول القصيدة وهي من بحر المتقارب :

عرفت الديار كرقم الدوا ةِ يزبُرها الكاتب الحميريُّ

١٦٠– (نوح) ٤٦٧ س ١٤ وبيروت ٦٢٧ قول أوس بن حجر

وما أنا ممن يَستنيح بشجوه يُمَدُّ له غربا جزورٍ وجدولِ

صوابه « وجدولُ » بضم اللام . وقد وردت اللام مهملة في المخطوطة . وهو من قصيدة في ديوان أوس ص ٩٤ أولها :

لليلى بأعلى ذى معارك منزلُ خلاءٌ تنادى أهلُه فتحملوا

١٦١– (نوح) ٤٦٧ س ١٥ : « حتى أحوِجَ الى أن أشكو » هي « حتى أُحْوَجَ » كما في المخطوطة . وقد وردت في طبعة بيروت مهملة ضبط الواو .

١٦٢– (وذح) ٤٧٢ س ١٣ وبيروت ٦٣٢ في تفسير الوَذَح « ويقال له المَدَح أيضاً » ، صوابه « المَذَح » بالذال المعجمة كما في المخطوطة .

١٦٣– (وشح) ٤٧٣ س ٢١ وبيروت ٦٣٣ والمخطوطة قول أبي كبير الهذلي :

مستشعر تحت الرداء وشاحةً عَضْباً غَمُوصَ الحد غير مفلّل

صوابه « غموض » بالضاد المعجمة . ديوان الهذليين ٢ : ٩٨

والمخصص ٦ : ٤٣ . وفي شرح الديوان : « والغَموض : الرسوب إذا مسَ الضريبة غمضَ مكانُه » .

١٦٤– (وضح) ٤٧٦ س ١٢ وبيروت ٦٣٦ والمخطوطة . « ووضح الطريقة من الكلأ : صغارها » . وكذا في تاج العروس وصوابه « الطَريفة » بالفاء . وهو ضرب من الكلأ . وقيل هو النَصِيّ إذا يبس وابيض .

١٦٥– (وطح) ٤٧٦ س ١٥ وبيروت ٦٣٦ « قال الحكم الحَضْرمي » . وإنما هو « الحكم الخُضْرى » كما في المخطوطة ، نسبة إلى خُضُر محارب . وأخباره في الأغاني ٢ : ٩٤–١٠٢ .

١٦٦– (ولح) ٤٧٨ س ٦ وبيروت ٦٣٨ « والوليحة : الضخم الواسع من الجُوالق » صوابه « الجَوَالق » . وهو بفتح الجيم جمع الجُوالق بضمها . فان تبعيض المفرد إنما يكون من جمعه والجوالق التي في النص وردت مهملة الضبط في المخطوطة .

١٦٧– (ومح) ٤٧٨ س ١٤ وبيروت ٦٣٨ والمخطوطة قول الراجز :

يؤزُها فحل شديد الضمضمه أزّاً بعيّارٍ اذا ما قدّمه

وإنما هي « يوزّها .. أرّاً » بالراء المهملة ، أي أفضى اليها . ويقال من ذلك رجل مِئَرٌّ .

١٦٨– (بلخ) ٤٨٦ س ٢٣ وبيروت (٢ : ٩) والمخطوطة : « وهو الشجر الذي يقطع منه كدنيات القَصّارين (، وليس للكدنية وجه هنا ، إنما هي « كُذَيّنقات » وفي اللسان (كذنق) : « قال ابن بري : الكُذَيّنقُ : مُدُق القصّارين الذي يُدَقّ عليه الثوب » .

١٦٩– (دمخ) ٤٩٢ س ٢٣ وبيروت ١٦ والمخطوطة قول الراجز :

« تركتُه أركانَ دَمخ لا بقعر »

صوابه كما في مقاييس اللغة (سر) ومعجم البلدان (دمخ) :

« بركنه أركانَ دَمخٍ لا نقعَره »

لكن في معجم البلدان « لا تقر » تحريف . وقبله في المقاييس وأنشده في اللسان (قدمس) :

« عن ذي قداميس لهام لو دسر »

١٧٠– (ريخ) ٤٩٧ س ١١ وبيروت ٢٠ وكذا في المخطوطة مع إهمال ضبط الفاء في الفريخ ، قول الراجز :

أمسى حبيب كالفَرَيخ رائخا بات يماشي قُلُصًا مخائخا

والفُرَيخ ، مصغر الفَرخ ، لا يماشي القلاص فانه أمر عجب وإنما هو « الفَرِيج » كما في اللسان (فرج) عند انشاده هناك . والفَرِيج من الإبل : الذي أعيا وزحف . وجاء في اللسان (مخخ) : « كالفُرَيج » بالجيم أيضا مع الخطأ في الضبط ، فليصحح . وانظر مجالس ثعلب ١٨٥ ومعجم ما استعجم للبكري ١٦٥ حيث ورد الشطر في أصلهما محرفا .

١٧١– (زمخ) ٤٩٩ س ١٧ وبيروت ٢٢ « قال أبو زيد : عَقَبَةٌ زموخ وحجون : شديدة » إنما هي « عُقْبَة » بضم العين وسكون القاف . وهي قدر ما يسيره الرجل . الذي يعبر عنه في العامية المصرية بالمشوار . وجاء مثله في (حجن) : « يقال سرنا عَقَبَةً حجونا . أي بعيدة طويلة » صوابه كذلك « عُقْبَة » أي مسافة . ولم تضبط عين عقبة في المخطوطة .

١٧٢– (شدخ) ٥٠٦ س ١٣ . ١٤ وبيروت ٢٨ والمخطوطة : قال الراجز :

« في وجوه إلى الكمام الجعاد »

والراجز . صوابه « الشاعر » وهو يزيد بن مفرغ . كما في اللسان والصحاح (لأم) والمخصص ١٤ : ٦٨ . و « الكمام » صوابها « اللِمام » : جمع لِمّة . وهي شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

١٧٣– (شرخ) ٥٠٧ س ٥ وبيروت ٢٩ والمخطوطة . قول الشاعر . وهو في صفة سهم :

كأن المَتن والشرخين منه خلاف النصل سيط به مُشيحُ

وإنما هي « مَشيج » بالميم المفتوحة . وآخره جيم . أي خليط من الدم والماء . كما في اللسان والصحاح (مشج) وديوان الهذليين ٣ : ١٠٤ من قصيدة لعمرو بن الداخل . أو للداخل واسمه زهير ابن حرام

١٧٤– (شيخ) ٥١٠ س ٢٢ وبيروت ٣٢ مع علامة استفهام قول الشاعر :

متى متى تَطلع الثنايا لعل شيخا مهترا مصابا

صوابه « تُطَّلَع المثابا » كما في المخطوطة واللسان والمقاييس (ثوب) . والمَثاب : جمع مَثابة . وهي حبالة الصائد .

الجزء الرابع

١٧٥– (صمخ) ٤ س ١٨ وبيروت ٣٥ : « فإذا قَطَر ذلك أفصح لبنها » . صوابه « فإذا فُطِرَ » بالفاء كما في المخطوطة وتقرأ بالبناء للمجهول « فُطِر » أي حُلب . وفي س ١٩ : « ما ترك فيها قَطْراً » صوابه « فُطْراً » بالفاء المضمومة . وهو القليل من اللبن حين يحلب .

١٧٦–(صملخ) ٤ س ٢١ وبيروت ٣٥ والمخطوطة : « خاثر متلبد » . وهذا لا يكون . وإنما يكون التلبد للصوف والشعر ونحوهما انما هي « متكبد » بالكاف كما في الصحاح . وفي اللسان (كبد) : « وتكبّد اللبن وغيره من الشراب : غلظ وخثُر » .

١٧٧– (صملخ) ٤ س ٢٦ وبيروت ٣٥ والمخطوطة . قول الطرماح :

سماويّة زُغبٌ كأن شكيرها صماليخ معهود النصيّ المجلّخ

إنما هو « المجلّح » بالحاء المهملة . كما في شرح ديوان الطرماح ٧٨ حيث ورد شرح البيت مع سقوطه من أصل الديوان . وقد أثبته ناشر الديوان بعد تعديله من اللسان والتاج .

١٧٨– (طبخ) ٦ س ١٩ وبيروت ٣٧ والمخطوطة ، تخاطب امرأة من بنى شَمَجَى بن جرم » ، صوابه « شَمَجَى » بالجيم . كما في اللسان (شمج) . وانظر جمهرة ابن حزم ٤٠٣ .

١٧٩– (طبخ) ٧ س ٧ وبيروت ٣٨ : « والمطبخ بكسر الباء مشددة من أولاد الضأن أملأ ما يكون » ، صوابه « من أولاد الضِّباب » كما في المخطوطة ، جمع ضَبّ . وقد جاء بعد ذلك قوله : « وأوله حسل ثم غيداق ثم مطبّخ ثم خُضَرم ثم ضب ».

١٨٠– (طبخ) ٨ س ١٤ وبيروت ٣٩ والمخطوطة ، قوله :

ولست بطيّاخة في الرجال ولست بخزرافة أحدبا

والبيت لامرىء القيس في ديوانه ١٢٩ وصوابه « أخدبا » بالخاء المعجمة ، كما في ديوانه واللسان (خدب ، خزرف) .

وفي س ١٧ من هذه الصفحة : « وجمع الطَيَخَة طيخات » صوابه « وجمع الطَيْخة » كما في المخطوطة والقاموس .

١٨١– (فتخ) ٩ س ٤ وبيروت ٤٠ والمخطوطة : « وقيل هي حَلَقَة تلبس في الإصبع » . وفتح اللام من الحَلَقة لا بأس به أجازه سيبويه وأبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء ، وأنكره بعض اللغويين كابن السكيت ، واتفقوا جميعا على إسكانها : مَن أجاز فتح اللام ومن لم يُجز . فالأولى إسكانها .

١٨٢– (فخخ) ١١ س ٦ وبيروت ٤٢ والمخطوطة ، قول جرير :

وأمّكمُ فَخٌّ قَذَام وخندفٌ .

صوابه « وخَيضَفُ » كما في ديوان جرير ١٧٩ واللسان (قذم ، خضف) . والخيضف الضروط . وهو عجز بيت . صدره :

فأنتم بنو الخوّار يعرف ضربكم .

١٨٣– (فرخ) ١٢ س ٤ وبيروت ٤٣ قول الفرزدق :

ويومَ جعلنا البِيضَ فيه لعامرٍ مصمّمةً تفأى فراخ الجماجم

والبيض : السيوف ، وقد وصفها بالمصممة ، فضبطها إنما يكون بكسر الميم المشددة . والمصمّم من السيوف : الذى يمر في صميم العظام فيقطعها . ولم تضبط شدة الميم في المخطوطة .

١٨٤– (كمخ) ١٨ س ١٨ وبيروت ٤٩ قول الراجز :

« إذا ازدهاهم يومَ هيجا أكمخوا .

صوابه « يومُ » بالرفع على الفاعلية . ولم تضبط الميم في المخطوطة . والشطر للعجاج في ديوانه ص ١٤ .

١٨٥– (مخخ) ٢١ س ١٩ وبيروت ٥٢ قوله :

« أمسى حبيب كالفُرَيح رائحا .

وفي المخطوطة : « كالفُرَيْج » ، صوابهما « كالفَرِيج » كما سبق التنبيه عليه في التحقيق رقم ١٧٠ .

١٨٦– (مدخ) ٢١ س ٢٥ وبيروت ٥٣ قوله :

تمادَخ بالحمى جهلا علينا فهلاّ بالقيان تُمادخينا

صوابه « بالقَنَان » كما في المقاييس والمجمل (مدخ) . والقَنَان ، كسحاب : موضع . والكلمة مهملة النقط والضبط في المخطوطة .

١٨٧– (مرخ) ٢٢ س ١٤ وبيروت ٥٣ والمخطوطة : « واستمجد المرخ والعفار ، أى دهنا بكثرة ذلك » . صوابه « أى ذهبا بكثرة ذلك » ، أى لم يفضلهما شئ في ذلك ، كأنهما مضيا به فلم يلحقهما لاحق ، كما في قول الأخطل (ديوانه ٣١٤ والأغانى ١٤ : ١١٨ والكامل ١٠١ ليبسك) :

ذهبت قريش بالمكارم والعلى واللؤم تحت عمائم الأنصار

١٨٨– (مرخ) ٢٢ س ١٦ قول الشاعر :

إذا المرخ لم يور تحت العفارْ وضُنّ بقِدرٍ فلم تُعقِب

صوابه « العفارِ » كما ضبطت في بيروت ٥٤ . والصواب أيضا « فلم تُعقَبِ » بالبناء للمجهول . والكلمتان مهملتا الضبط في المخطوطة ، فهو تصرف خاطئ من الناشر . وأصله مز

العُقبة ، بالضم ، وهى مَرَقة تُرَدُّ في القدر المستعارة . والإعقاب إنما هو للرجل لا للقِدر . يقال : أعقبَ الرجلُ الرجلَ : ردّ إليه ذلك . قال الكميت :

وحاردت النّكْدُ الجلادُ ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين مُعقِبُ

وكلمة (تُعقب » لم تضبط قافها في طبعة بيروت ، وكفى الله المؤمنين القتال !

١٨٩ – (مرخ) ٢٢ س ط ٣٠ وبيروت ٥٤ والمخطوطة . قول عمرو ذى الكلْب :

« صَبّ لها في الريح مِرّيخٌ أثِمْ »

والمراد بالمِرّيخ هنا الذئب ، فالصواب « صُبّ » بالبناء للمجهول . وفي أساس البلاغة : « صُبّ الذئبُ على الغنم » . وأنشد لأبى النجم يعنى صقرا :

« مرّ القطا صُبّ عليه أجدلُ »

وقد بينت ذلك في كتابى (حول ديوان البحترى) ص ٣٩ .

١٩٠ – (ملخ) ٢٥ س ١١ وبيروت ٥٧ والمخطوطة قول رؤبة :

« معتزم التجليخ ملاّخ الملَقْ »

صوابه « التجليح » بالحاء المهملة كما في ديوان رؤبة ١٠٦ واللسان (ملق) ومقاييس اللغة (ملخ) . والتجليح : السير الشديد .

١٩١ – (نضخ) ٣٠ س ٤ قول القطامى :

حرجا كأن من الكَحيل صُبابةً نضحتْ مغابنها بها نَضّحانا

صوابه « الكُحَيل » بالتصغير . وفي اللسان : « والكحيل مبنى على التصغير : الذى تُطلى به الإبل للجرب . لا يستعمل إلا مصغرا » . ولم تضبط الكلمة في المخطوطة . ووردت على الصواب في طبعة بيروت ص ٦٢ .

١٩٢ – (نضح) ٣٠ س ٤ وبيروت ٦٢ والمخطوطة قول جران العود :

ومنه على قصْرَى عُمانَ سَخيفةٌ وبالخط نضاح العثانين واسع

وكذا وردت « سخيفة » بالخاء المعجمة في الشرح بعده . وصوابها « سحيفة » بالحاء المهملة ، كما في اللسان (سحف) . والسحيفة : المطْرة الحديدة التى تسحف كل ما مرت به أى تقشره . وفي ديوان جران العود ٥١ : « سحيقة » بالحاء المهملة بعدها قاف ، وهى نحو السحيفة في المعنى .

للبحث صلة

الأسطوانة

شعر : ابراهيم الزبيدي

أسلموا صوتي للريح على التل وغابوا
تنبش الابـــرة لحمي ، والمدى صمت .. ضباب

● ●

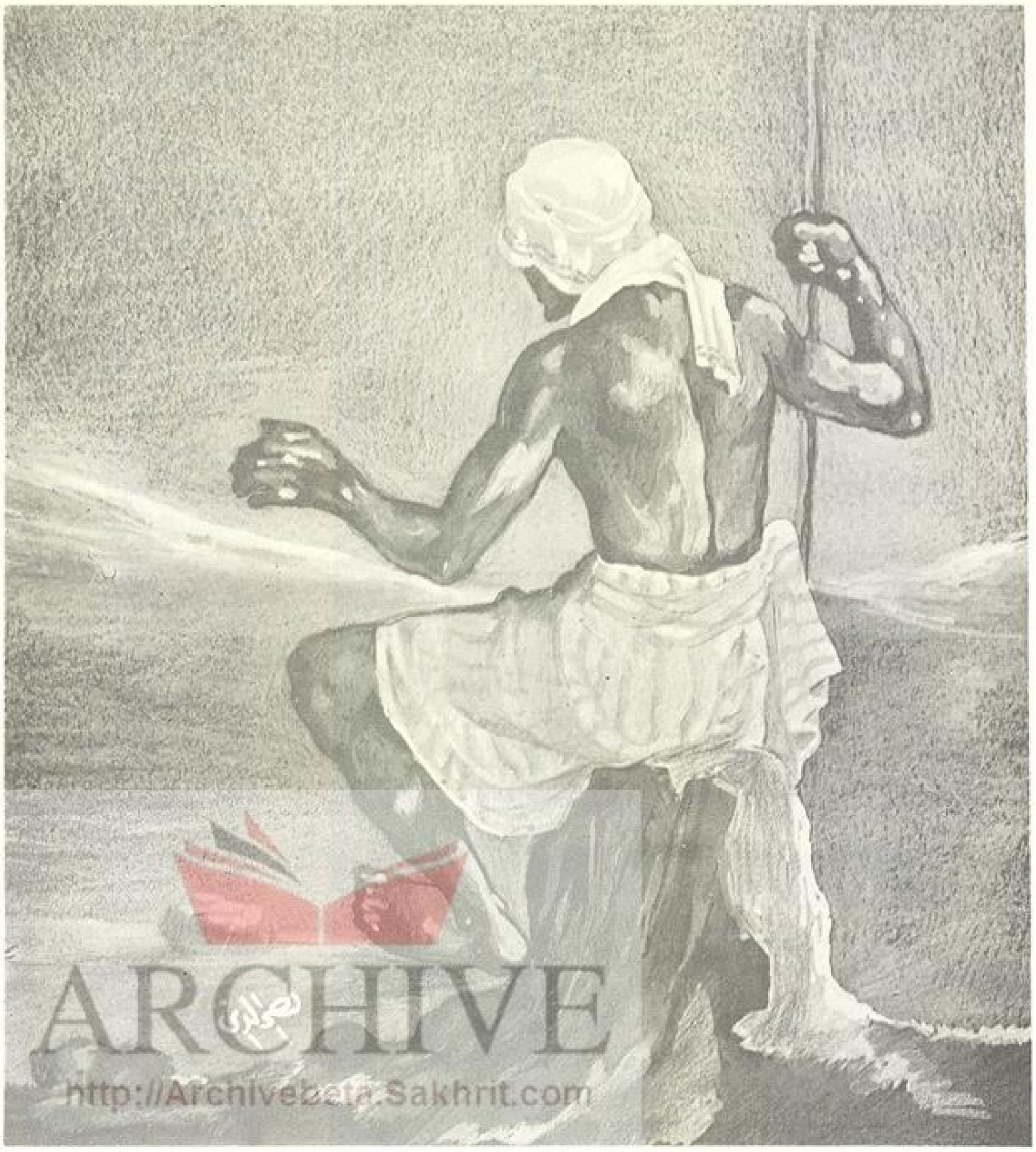
منذ اجيال وما زلت .. أدور
منذ أجيال ــ ومن يدري مكانه ؟ ! ــ

● ●

ذات صبح عاطر الخطو .. محنى
بالنسيمات السراع
كنت نشرت الى الشمس التي اهوى .. شراعي
والتقينـــا
اختي الشمس .. ومن أختي ؟! وقد خبرتها منذ البداية !
(انني ابصر رمحا من دخان يحمل الشمس) فلم تبصر
واكملت الحكاية ..
(اختي الشمس .. رأيت الشمس تجتاز المسافات على
ظهر حصان
سنطفيّ دورة الافلاك يوما عنفوانه
وتعريه ..) فلم تبصر .. وقد مر الزمان
وتآكلنا .. وها شاخ الحصان
وتعرى .. واذا الشمس خيوط من دخان

● ●

منذ اجيال وما زلت ادور
قد تلقطت على مر الزمان
عمري القاسي .. وحزني .. وصريري .. وملأت الذاكرة
ببطولات .. واحلام .. ولكن !
يا بقايا الذاكرة
انصتوا .. هذا مخاض الريح، هل يولد في الشرق حصان
راسه غار .. ومن صلب عظامه
يحمل الشرق ويرقى قبة الشرف المهانة
نافرا .. ينبش في حافره دائرة الافق يسويها اسطوانة
تهب الشمس على مغربها عمرا جديدا .. وأمان ؟!
انصتوا .. قد يولد اليوم الحصان
فارفعوا الابرة عن لحمي ارفعوها
فانا ــ الثكلى ــ مللت الدوران



بقلم

حمدي رشيد خنبلي

السيدة المسلمة

حايك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللّهمَّ إنّكَ تُهيِّئ مَا شِئتَ إذا شِئتَ، اللّهمَّ إنّي لو كُنت ضَعيفاً لكنت عَبداً ولَو كنت امرأة لكنت أمَةً. اللّهمّ إنّي أعوذ بِكَ مِن الخيبَة، فأمَّا الهيبَة فَلا هَيبَة.

— ١ —

لاحظ علماء النفس المحدثون ان الظروف كثيرا ما تجبر الشخص على قبول عمل ما ، الا ان قلة من الناس اولئك الذين يستمرون في مثل هذه الاعمال . وبعد دراسة مستفيضة لوحظ ان المرء يميل الى العمل الذي يناسب قدراته الذاتية ويتمشى مع ميوله واتجاهاته .

لبيان ذلك اقول : ان هناك اعمالا رتيبة ، اوجدتها الصناعة الحديثة ، مثل هذه الاعمال ،كصناعةالسيارات، لا يستمر بها الا فئة من الافراد . يكون مستوى ذكائهم اقل من المتوسط بقليل . في حين نجد ان المرء كلما ارتفع في مقدرته العقلية كلما كانت لديه امال ارحب . ولذا فهو دائم المحاولة للترقي في مستواه الاجتماعي والاقتصادي . فيسلك طرقا ثقافية واخرى مهنية وظيفية حتى يستطيع التحرك والتطور بسهولة ويسر .

مثل هذه الحقائق كانت موجودة عبر التاريخ ، وانما كانت تحتاج الى من يرتبها هذا الترتيب البسيط .وقد عاشها ملايين الناس ، واربما فسر الكثير منهم سلوكه طبقا لها .

ونحن اليوم نستطيع ان نفهم طبقا لوجهة النظر هذه سلوك فئة من الناس عرفهم تاريخنا باسم الصعاليك . ومنهم صاحب هذه الترجمة ((السليك بن السلكة)) .

— ٢ —

من المؤكد ان امه اسمها السلكة ، امة سوداء البشرة بيضاء السريرة ، صافية الذهن حتى بعد الثمانين . اذ رثت ابنها السليك ، باحر ما ترثى ام ولدها من شعر . ابياتها تفيض حزنا وتفجعا . تصور فيها مصابها الشديد بالسليك وحسرتها البالغة عليه .

ولربما كانت الرقة والعذوبة الباديتان في شعرها . طبعا امتاز به سلوكها العام منذ صغرها . فاعجب ذلك منها ابناء سادتها من بني سعد . وفي لحظة ضعف . ولنزوة عابرة . حملت من احد فتيان بني كعب بن سعد من بني تميم قيل انه عمرو بن يثربيّ وقيل عمير . ولربما كان هذا الاختلاف معروفا في حياة السليك . مما كان يسبب له اشد الالم والخزي بين الاقران . وبقيت السلكة امة على حالها لم تتبدل منزلتها الاجتماعية .

ونحن نعرف ان العرب تردد عادة فيما بينها . اننا قوم نبغض ان تلد فينا الاماء (١) . لذا ارجح ان اباه . الذي كان سيد امه السلكة . عندما علم بمولده ورأى سواده خاف ان ينسب اليه فقال : انها سلكة وابنه سليك . تصغير ترخيم لسلكة .

ومن عادة القوم ان يلحق المولود من الامة بامه ، فيصبح عبدا مثلها . وكان من وظائف العبيد رعي الابل والقيام بأمرهم . وقد قرر هذه الحقيقة عنترة بن شداد ، وهو ابن امة من اب حر . بقوله : « العبد لا يحسن الكر . وانما يحسن الحلابة والصر (٢) :

فكان ان نشأ السليك على رعاية الابل (٣) . كانت قدراته تفوق عمله الموكول به وكانت اماله اكبر من هذه الاعمال . الا انه عجز عن الاخذ بنصيبه من الحياة العادية على ما فيها من ضنك وعلى ما في صحراء بني سعد من جدب وقسوة طبيعية . ولم يستطع ان يقف على قدم المساواة مع لداته واقرانه . ولم يكن ذلك لعجز فيه . وانما لان قبيلته ترفضه وتحرمه من العدالة التي يطمح اليها ، وقد جردته من كل الوسائل المشروعة التي يواجه بها الحياة ، ولما كانت روحه تواقة للتطور النامي فقد رفض طريق العبودية والذل ، **رفض ان** يعيش على هامش مجتمعه ، رفض ان يقوم على خدمة اناس لم يجد في نفسه احتراما لهم ، رفض ان ينتظر فضلات طعامهم او استجدائهم في ذلة واستكانة ، فشق طريقه بالقوة المتوفرة لديه وابتغى حياة كريمة ابيه . فرض نفسه على قبيلته وبقية القبائل ،وانتزع لقمة العيش من ايدي من حرمها عليه منهم ، دون ان يبالي في سبيل غايته اكانت وسائله هذه مقبولة من قبيلته او مرفضة فقد استقر رأيه على ان الحق للقوة وان الغاية تبرر كل وسيلة (٤) .

— ٣ —

جرأته :

تأفف السليك عن ان يقوم بأعمال العبيد واشباههم وقد اوضح ذلك بقوله : « اللهم انك تهيىء ما شئت اذا شئت ، اللهم اني لو كنت ضعيفا لكنت عبدا . ولو كنت امراة لكنت امة . اللهم اني اعوذ بك من الخيبة ، فاما الهيبة فلا هيبة » : اي لا اهاب

(١) الاغاني — ج ٢ ص ١٦٥
(٢) الاغاني — ج ٨ ص ٢٣٩
(٣) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٤
(٤) الشعراء الصعاليك : يوسف خليف ص ٣١

احدا . (١)

ايدت هذه الجراة شهادة بطل من ابطال العرب في الجاهلية والاسلام . واسد من اسود القادسية ،الصحابي عمرو بن معد يكرب رضى الله عنه حين قال : لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما ابالي من لقيت من فرسان العرب ،ولا خفت ان اغلب عليها ، ما لم يلقني حراها او هجيناها . وهو يعني بالحرين ، عامر ابن الطفيل ،وعتبة بن الحارث بن شهاب . واما العبدان . فأسود بني عبس عنترة بن شداد . والسليك ابن السلكة .

ويضيف عمرو رضى الله عنه : « وكلهم قد لقيت .

فاما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت .

واما عتبة بن الحارث فأول الخيل اذا اغارت واخرها اذا آبت .

واما عنترة بن شداد فقليل الكبوة. شديد الجلب .

واما السليك بن السلكة . فبعيد الغارة كالليث الضاري » .

وهو القائل فيه :

وسيري حتى قال في القوم قائل
عليك ابا ثور سليك المقانب
فرعت به كالليث يلحظ قائما
اذا ريع منه جانب بعد جانب
له هامة ما تأكل البيض امها
واشباح عادي طويل الرواجب (٢)

تجلت قوة شخصية السليك في استهانته بالحياة في سبيل الوصول الى الغاية التي سعى اليها .. لقد صمم على ان يحقق لذاته مكانة اجتماعية في الوسط الاجتماعي الذي احتقره واستهان به ... فرض نفسه بالقوة . لهذا لم يبال بشيء ولا حتى بالحياة ذاتها .. فقد آمن بفكرة الفناء في سبيل تلك الغاية ..

ولجراته تخصص في الاغارة على مناطق اليمن البعيدة ، وكان يتجاوز في طريقه بلاد خثعم الى من وراءهم من اهل اليمن ، فيغير عليهم (٣) وكان مجرد التفكير بهذه المخاطرة. يعد يومئذ ضربا من الجنون .. واتى في بعض غزواته بلاد مراد من ارض سبأ (٤) وخرج في بعض غزواتهوتتبع الارياف .

ومما يستدل به علىشجاعته رفضه كل نصيحة تحذره من مغبة هذه المغامرات . وقد قال في هذا الصدد :

تحذرني ان احذر العام خثعما
وقد علمت اني امرؤ غير مسلم (٥)

وعرف بين القبائل بسليك المقانب .. والمقانب ، كما هو معروف ، هي الذئاب الضارية .

مرونته الجسدية :

ضرب العرب الامثال في عدو السليك وركضه ، فقالوا :

اعدى من السليك (٦) .

امضى من سليك المقانب (٧) .

اذ كان يمتاز بسرعة في العدو خارقة للعادة ، وهي سرعة لفتت انظار الرواة فسجلوها بما فيها من مبالغات . واستقرت كما راينا في اذهان الناس فضربوا بها الامثال. لقد كان من اجود بني زمانه عدوا على رجليه ، اذ لم تكن تلحق به الخيل .. ويرجع سبب شدة عدوه الى التكيف العضوي للبيئة (٨) ويروى بهذا الخصوص ان بني كنانة سألته حين كبرت به السن ان يريها بعض ما بقي من احضاره (ركضه) فقال : اجمعوا لي اربعين شابا . ودرعا ثقيلة .

فأخذها فلبسها . وخرج الشباب حتى اذا كانوا على راس ميل اقبل يحضر فلاث العدو لوثا ، واهتبصوا في جنبيه فلم يصحبوه الا قليلا . فجاء يحضر مستترا حيث لا يرونه . وجاءت الدرع تخفق في عنقه كأنها خرقة (٩) .

فقره وحاجته :

ورغم حياته الخشنة القاسية ، ورغم شدة فتكه وايقاعه بالناس . فقد كان يمتاز بشعور حاد بالفقر ، واحساس مرير الوقع على نفسه . وشكوى صارخة من هوان منزلته الاجتماعية وعدم تقدير قبيلته له ، وعجزه عن الاخذ بنصيبه من الحياة، رغم قلة ما بها . كما يأخذ سائر افراد مجتمعه ..

فكان يعمى عليه من الجوع في شهور الصيف ، حتى كاد يشرف على الموت والهلاك وهو القائل بذلك :

وما نلتها حتى تصلعكت حقبة
وكدت لاسباب المنية اعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
اذا قمت تغشاني ظلال فاسدف(١٠)

لهذا كان لا يخرج الا لطلب الرزق. وكان اذا استغنى عف عن الخروج ،

(١) الامثال للميداني ج ١ ص ٦٣٠ — دار الحياة بيروت .
(٢) الاغاني — ج ١٤ ص ٢٨
(٣) الاغاني ج ١٨ ص ١٣٧ — ١٣٨
(٤) الشعراء الصعاليك ص ٨٣
(٥) شرح الحماسة/التبريزي ج ٢ ص ١٩٢
(٦) الامثال — الميداني ص ٤٣١
(٧) الامثال — الميداني ج ٢ ص ٤٣٣
(٨) الشعراء الصعاليك ص ٤٤
(٩) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٧
(١٠) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٥
اسدف : اظلم بصره من شدة الجوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



السليك بن السلكة

ومما يشهد على ذلك ما روى من حوادث استشهد باثنتين منها :

— ٦ —

اما الاولى : فقد زعموا انه خرج يريد ان يغير في اناس من اصحابه . فمر على بيت منفرد عظيم من بيوت بني شيبان في الربيع . وقد امسى . فقال لاصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى اتى هذا البيت فلعلي اصيب خيرا . واتيكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق اليه وجن عليه الليل . فاذا البيت بيت يزيد بن دويم الشيباني . واذا الشيخ وامراته بفناء البيت . فاحتال سليك حتى دخل البيت من مؤخرته . فلم يلبث ان اراح ابن الشيخ بأبله في الليل . فلما رآه الشيخ غضب وقال : هلا كنت عشيتها ساعة من الليل ؟

فقال ابنه : انها ابت العشاء ؟

فقال يزيد : ان العاشية تهيج الآبية .

ثم نفض الشيخ ثوبه في وجهها فرجعت الى مراتعها وتبعها الشيخ حتى مالت لادنى روضة . فرتعت فيها وقعد الشيخ عندها يتعشى . وقد خنس وجهه في ثوبه من البرد وتبعه السليك حين رآه انطلق . فلما رآه منفردا ضربه من ورائه بالسيف فأطار راسه واطرد ابله .

بقي اصحاب السليك وقد ساء ظنهم وخافوا عليه . فاذا به يطرد الابل .. وقال بعدها قصيدته التي مطلعها :

وعاشية راحت بطان ذعرتها
بسوط قتيل وسطها يتسيف (١)

ومنها البيتان السابق ذكرهما :

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة
وكدت لاسباب المنية اعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
اذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

— ٧ —

وحادثة اخرى تدل على انه لم يكن ليخرج الا لسد حاجته .. ودفعا للمعبة :

يقال انه كان قد افتقر حتى لم يبق عنده شيء فخرج على رجليه رجاء ان يصيب غرة من بعض من يمر عليه فيذهب بأبله . حتى اذا امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة اشتمل الصماء . فبينما هو نائم . اذ جثم عليه رجل ، فقال له : استأسر ، فرفع السليك راسه وقال : الليل طويل وانت مقمر . ثم عاد لنومه . الا ان الرجل جعل يهزه ويقول : يا خبيث استأسر . فلما آذاه اخرج سليك يده فضم الرجل ضمة كادت تذهب روحه . وارخت له عضلات بطنه : فضرط وهو على حاله ... فعيره السليك وقال له : اضرطا وانت الاعلى . ثم قال له : من انت ؟

فقال : انا رجل افتقرت فقلت لاخرجن فلا ارجع حتى استغني .

قال وقد تركه : انطلق معي ...

ثم قاما وانطلقا معا حتى وجدا رجلا قصته مثل قصتهما . فاصطحبوا جميعا حتى اتوا الجون . جون مراد

(١) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٢٥ يتسيف : يضرب بالسيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي باليمن . فاذا نعم قد ملأ كل شيء من كثرته . فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الحي .فقال لهما السليك : كونا قريبا حتى آتي الرعاة . فأعلم لكما علم الحي ،اقريب هم ام بعيد . فان كانوا قريبا رجعت اليكما . وان كانوا بعيدا قلت لكما قولا أجريه لكما فاغيرا .

فانطلق حتى اتى الرعاة . فلم يزل يتسقطهم حتى اخبروه بمكان الحي . فاذا هم بعيد ان طلبوا لم يدركوا . فقال السليك : الا غنيتكم ، قالوا بلى .

فتغنى باعلى صوته :

يا صاحبي الا لا حي بالوادي
الا عبيد وآم بين اذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم ؟
ام تغدوان فان الربح للغادي ؟

فلما سمعا بذلك اتياه . فاطردوا الابل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحي حتى قصدوا بما معهم » (١)

— ٨ —

تعاطفه :

كان السليك جياش الاحساس شديد التأثر . رقيق القلب .. كثيرا ما يتألم لاحوال غيره قبل ان يذكر ذاته .. ورغم ان قبيلته ، لم تكن لتعده منها وتكاد تنكر كل صلة له بها .. مما دفع بأمثاله من الصعاليك الى الاغارة على قبائلهم ، اذ لم يعد هناك ما يوجب حرصهم على تلك العصبية القبلية.. لانها مرفوضة من جانب القبيلة ، الا ان السليك هو الشذوذ الوحيد ، فلم يكن يغير على مضر ، وانما يغير على اليمن . فاذا لم يمكنه ذلك اغار على ربيعة (٢) .

— ٩ —

ولم تقف المسألة عند السليك ، في هذا الجانب السلبي ، اذ انه استخدم مواهبه كصعلوك في سبيل قبيلته . ففي بعض اخباره انه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا متجردين ليغيروا على تميم ، اذ لا يعلم بهم . فقالوا : ان علم السليك بنا انذر قومه .

فبعثوا اليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي . فطارداه سحابة نهار ، ثم قالا : اذا كان الليل اعيا فسقط ، فنأخذه ، فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر بأصل شجرة ،فنزا وندرت قوسهفانحطمت، فوجدا قصفة منها قد اركزت في الارض . فقالا : لعل هذا كان اول الليل ثم فتر ، فتبعاه فاذا اثره متفاجا ، قد بال في الارض وخد .. فقالا : ما له ؟ قاتله الله ، ما اشد متنه ! والله لا تبعناه ، وانصرفا .. فقام السليك الى قومه فانذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية .. فقال :

يكذبني العمران ، عمرو بن جندب
وعمرو بن سعد والمكذب اكذب
سعيت لعمري سعيا غير معجز
ولا نأناً لمواننني لا اكذب
ثكلتكما ان لم اكن قد رأيتها
كراديس يهديها الى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله
فوارس همام متى يدع يركبوا

وجاء الجيش فاغاروا (٣) .. هكذا لم ينتفع القوم بنصحه ، مع انه انذرهم حتى لا يؤخذوا على غرة .

— ١٠ —

ومن الملاحظ ان حساسية السليك المرهفة جعلته يتعاطف مع مجالات اوسع بكثير من حدود قبيلته .. التي اجبرته على ان يحيا حياته الخاصة ، حياة التصعلك خارج قبيلته ، دون ان يرتبط بها في شيء او يعتمد عليها في شيء ، لهذا نراه يتجنب الاغارة على مضر كلها .. ولهذا نجده يتألم للاماء السوداوات .. فقد صرح في شعر له بأن رأسه قد شاب مما تقاسيه خالاته من ضيم وهوان ومذلة يعجز لفقره عن انقاذهن منها . وهو يذكر هذا في مجال دفاعه عن تصعلكه وفخره به ؛ مما يشعر بأن هذا التعاطف مع هاته النسوة كأن من الاسباب الفعالة في هذا التصعلك (٤) وابياته هي :

الا عتبت علي فصارمتني
واعجبها ذوو اللمم الطوال
فاني يا ابنة الاقوام اربي
على فعل الوضي من الرجال
فلا تصلي بصعلوك نئوم
اذا امسى يعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب
بنصل السيف هامات الرجال
اشاب الرأس اني كل يوم
ارى لي خالة وسط الرحال
يشق علي ان يلقين ضيما
ويعجز عن تخلصهن مالي

حنكته :

— ١١ —

مما لا شك فيه ان السليك كان يتمتع بقدرة عقلية عالية ، وبحنكة وخبرة بنفوس الناس واحوالهم عميقة

(١) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٤
(٢) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٤
(٣) الاغاني (طبعة الساسي) ج ١٨ ص ١٣٦
(٤) الكامل في الادب واللغة — ابو العباس المبرد ص ٢٩٨

واسعة . وهو ذو حيلة يستخدمها وقت الحاجة .

كان يعد العدة لغاراته البعيدة والتي يضطر معها الى اختراق المفازة المهلكة حتى يصل الى اليمن . فكان لا يغير الا في الصيف . حينما تنقطع اغارة الخيل فيضمن بذلك عدم تعرضه لمطاردات الخيل البعيدة المدى وهو في هذه الغارات لا يملك الا قدميه يعدو عليهما وان كان له فرس كان اسمها « النحام » (ذيل الاماليي ص ١٨٦) وكان زيادة في الحرص يدبر امر مواد تموينه في طريق غزواته الجدب فكان في الربيع يعمد الى بيض النعام فيملأه من الماء ويؤمنه في طريق اليمن في المفاوز وكان من اهدى الناس بتلك الصحارى فاذا غزا في الصيف مر بالماء المدفون فاستأثر به (الشعراء الصعاليك ص ٣٥) . وكان يعتمد في هذا على مقدرته الممتازة وخبرته الواسعة بمجاهل الصحراء كما قلنا اذ كان كما وصفه الرواة ، ادل من قطاة .

وكان يخطط لغزواته قبل حدوثها باشهر اذ يذكر الرواة ان السليك خرج في الاشهر الحرم حيث اعتاد القوم لن يتواعدوا ويخلذوا للسلام حتى اتى عكاظ فلما اجتمع الناس القى ثيابه ثم خرج متفضلا مترجلا فجعل يطوف بين الناس ويقول :ـ من يصف لي منازل قومه واصف له منازل قومي ؟

فلقيه قيس بن مكشوح المرادي فقال : ـ انا اصف لك منازل قومي وصف لي منازل قومك .

فتوافقا وتعاهدا الا يتكاذبا ووصف كل منهما للاخر منازل قومه .

فانطلق قيس الى قومه فاخبرهم بخبره .

فقال له ابوه مكشوح : ـ ثكلتك امك هل تدري من لقيت ؟

فقال لقيت رجلا فضلا كأنما خرج من اهله فقال الاب : ـ هو والله سليك بني سعد .

ثم لم يلبث السليك ان وضع خطته موضع التنفيذ فأغار في اصحاب له على مراد وخثعم واسر صاحبه قيس بن المكشوح واصاب نعمهم وسبى سبيه من خثعم ثم انصرف مسرعا (الاغاني ج ١٨ ص ١٣٥ ـ ١٣٦) .

— ١٢ —

اريحيته :

وهو رغم فقره كان جوادا يجود بالمال والروح ... بل هو يمتن على اسراه وسباياه فيطلقهم ففي رواية ان السليك اخذ رجلا من بني كنانة ابن تيم بن اسامة من بني مالك التغلبي يقال له النعمان بن عقفان .. ولما علم فقره اطلقه وقال في ذلك :

سمعت بجمعهم فرضخت فيهم
بنعمان بن عقفان بن عمرو
فان تكفر فاني لا ابالي
وان تشكر فاني لست ادري

ثم قدم بعد ذلك ـ بزمن ليس بقصير على بني كنانة وقد شاخ به الزمن وتقدمت به السن فوجدهم في بناء لهم يقال له قباقب ، خلف البئر فأتاه نعمان بابنيه « الحكم وعثمان » وهما سيدا بني كنانة ونائلة « ابنته » .

فقال النعمان : ـ هذان وهذه لك وما املك غيرهم ولا اعز منهم .

فقال بنوه : ـ صدق .

فقال السليك قد شكرت لك . وقد رددتهم عليك .

فلما رأت بنو كنانة اريحيته هذه . جمعت له ابلا عظيمة فدفعوها اليه وبقي في ضيافتهم فترة من الزمن فتبسط معهم فيها بالحديث وشاركهم بالفرح واللعب والمؤانسة . (الشعراء الصعاليك ٣٦٥) .

— ١٣ —

حفظه للجميل :

اغار السليك علي بني عوار بطن من بني مالك بني ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة وارادوا مساورته . فقال شيخ منهم : ـ انه اذا عدا لم يتعلق به شيء فدعوه حتى يرد الماء فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه فلما علم انه مأخوذ جاملهم وقصد لادنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقاتلت دونه فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت باخوتها فجاءوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل .

فحفظ لها السليك ذلك الجميل ومدحها بأبيات قال منها :ـ

لعمر ابيك والانباء تنمي
لنعم الجار اخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح اباها
ولم ترفع لاخوتها شنارا
كأن مجامع الارداف منها
نقى درجت عليه الريح هارا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعاف وصال ذات البذل قلبـــي
ويتبـــع المنعـــة النـــوارا
وما عجزت فكيهة يـــوم قامـــت
بنصـــل السيف واستلبوا الخمارا

الاغاني (الساسي) ج ١٨ ص ١٣٧

— ١٤ —

غزلياته :

ورغم خشونة عيش السليك فقد كان يفيض حنانا ورقة كما يشهد لـــه شعره فهو القائل :

وتبسم عن المى اللثات مفلـــج
خليق الثنايا بالعذبـــة والبـــرد

(الصناعتين ص ٢٠٠ النـــاشر عيسى الحلبي) .

وهو القائل :

اذا اسهلـــت خبـــت
وان احزنـــت حشـــت

(الصناعتين ص ٣٧٧)

وله بيت شعر يظهر عليه طابـــع المقدمة الغزلية والتي نعرفها في الشعر التقليدي القديم . وهو مصرع ممـــا يشعر بانه مطلع لقصيـــدة ، وهـــو ايضا صورة من اسلـــوب المطالـــع الجاهلية . ذلك الاسلوب الذي يعنى بسرد اكبر عدد من اسماء المواقـــع .

ثم هو لون من الوان المطالـــع الجاهلية في حديثها عن الخيال الذي يلم بالركب المسافر وعن عفاء الديار بعد رحيل الاحباب :

ألـم خيـــال من اميـــة بالركـــب
وهن عجال عن نيال وعن قعـــب

(شرح الحماسة ج ٢ ص ١٩٢)

ومما يذكر انه استقر عـــائليا اذ تزوج ورزق البنين وكان اكبرهم حرب وبه كان يكنى .. وحافظ على صلاته بأمه طيلة حياته ...

— ١٥ —

مصرعه :

خرج السليك . بعد ما كبر وشاخ . في تيم الرباب يتبع الارياف . حتـــى مر بفخة . فيما بين ارض بني عقيـــل وسعد بن تميم . فلقى رجلا من خثعم يقال له مالك بن عمير . فأخذه ومعه امرأته نوار وكانت بضة شابة .

فقال له الخثعمي : اني افتـــدي منك نفسي .

فقال له السليك : ذلك لك علي على الا تخيس . ولا تطلع على احدا من خثعم . فاعطاه ذلك وخرج الـــى قومه . وخلف السليك على امراته . فاغتصبها . وحاولت ان تحذره من مغبة فعله الا انه اخذته العـــزة بالاثم .. وقال لها :

تحذرني ان احذر العام خثعمـــا
وقد علمت اني امرؤ غـــير مسلم
وما خثعـــم الا لئـــام اذلـــة
الى الذل والاسخاف تنمى وتنتمي

ثم التقم المحجة ومضى . فبادرت الى الماء فاخبرت القوم . فركـــب انس بن مدرك الخثعمي في اثـــره فلما لحق به تحقق السليك انه مقتول فقال :

من مبلغ حربا بانـــي مقتـــول
يا رب نهب قد حويت عتكـــول
ورب حرق قد تركـــت مجدول
ورب ريم قد نكحـــت عطبـــول
ورب عان قد فككـــت مكبـــول
ورب واد قد قطعـــت مشبول

الا ان انسا لم يمهله حتى قتله .. وكان بين السليك وبين عبد الملك بن مويلك الخثعمي جوار .. فلما علم بمقتل السليك قال : والله لاقتلـــن قاتله او ليدينه فقال انس : واللـــه لا اوديه . ولا كرامة . ولو طلب في ديته عقالا . لما اعطيته ثم انشد :

اني وقتلي سليكـــا يوم اعقله
كالثور يضرب لمـــا عافـــت البقر
غضبت للمرء اذ غضبـــت حليلته
واذ يشد عـــلى وجعائها الثفر
اني لتـــارك هامـــات بمجـــزرة
لا يزدهين سواد الليـــل والقمـــر
اغشى الحروب وسربالي مطاعفه
تغشى البنان وسيفي صارم ذكر
كم من اخ لي كريـــم اصبت بـــه
ثم بقيـــت كأني بعـــده حجـــر
لا استكين على ريب الزمـــان ولا
اغضي على الامر يأتي دونه القدر
مردى حروب اجيل الامر جائلـــه
اذ بعضهم لامور تقرى جـــزر

(الشعر والشعراء : ابن قيتبـــة ج ١ ص ٢٨٥)

— ١٦ —

شعـــره

يعد السليـــك من الصعاليـــك الشعراء . وقد افتتن الرواة به في القديم ، حتى انهم سألوا الاصمعـــي عن شعر السليك ، فقال : « ليس من الفحول » .

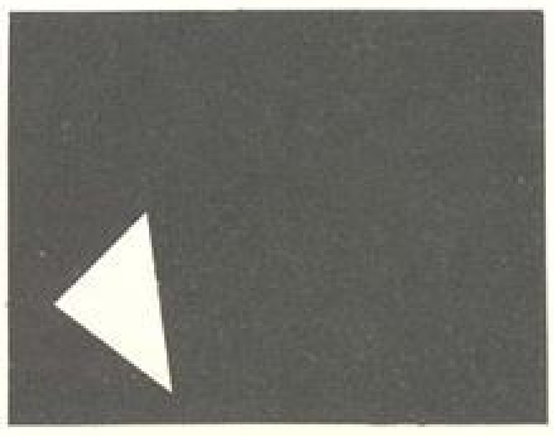
وقد لوحظ على شعر السليـــك انه قد تخلص في الغالب من التصريع .

ونحن قد اوردنا معظم ما جاءنـــا من شعره ، وفي الختام نذكر اطـــول قصيدتين رويتا له ..

— ١٧ —

الاولى : جاءت في الاغاني الجزء ١٨ ص ١٣٦ يقول فيها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





السليك بن السلكة

بكى صرد لما رأى الحي اعرضت
مهامـــة رمـــل دونهم وسهوب
وخوفه ريـــب الزمـــان وفقـــره
بـــلاد عدو حـــاضر وجـــدوب
ونأي بعيد عن بـــلاد مقاعـــس
وان مخاريـــق الامـــور تريـــب
فقلت له لاتبك عينـــك انهـــا
قضية ما يضفـــي لها فتثـــوب
سيكفيك فقـــد الحي لحم مفرض
وماء قدور في الجفان مشـــوب
ألم تران الدهر لونـــان لونـــه
وطوران بشر مـــرة وكـــذوب
فيا خير من لا يرتجى خير اوبـــة
ويخشى عليه مريـــة وحـــروب
رددت عليه نفســـه فكأنهـــا
تلاقي عليـــه منســـر وســـروب
فما ذر قرن الشمس حتى رأيتـــه
مضاء المنايـــا والغبـــار يثوب
وضاربت عنـــه القوم حتى كأنما
يصعـــد في اثارهم ويصـــوب
وقلت له خـــذ هجمـــة جبريـــة
واهلا ولا يبعـــد عليـــك شروب
وليلـــة جابـــان كـــررت عليهـــم
على ساحة فيها الاياب حبيـــب
عشية كـــدت بالحرامي ناقـــة
بحيهـــلا تـــدعى فتجيب
فضاربت أولى الخيل حتى كأنمـــا
أميـــل عليهـــا ايـــدع وحبيـــب

وسبب هذه القصيدة كما تروى رواياتنا ان السليك كـــان يعمـــد في الربيع الى بيض النعام فيملأه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز فاذا غزا في الصيف ، مر به ، فاستأثره . فمر — في احدى غزواته — باصحابه، حتى اذا انقطعت عنهم الميـــــاه قالوا : يا سليك ، اهلكتنا ويحك .

قال : قد بلغتم الماء ما اقربكـــم منه .

حتى اذا انتهى الى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه ، طلبه ، فلـــم يجده . وجعل يتردد في طلبـــه .

فقال بعض اصحابه لبعـــض : اين يقودكم هذا العبد ؟ قد واللـــه هلكتـــم . وسمع ذلك ، ثم اصاب الماء ، بعد ما ساء ظنهم ، فهم السليك بقتل بعضهم ، ثم امسك . فانصرفت عنهم بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد ، قال ومضى السليك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له « صرد » . فلما رأى اصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السليك حتى اذا دنوا من بـــلاد خثعم ضلت ناقة صرد في جوف الليل . فخرج في طلبها فاصابه اناس حين اصبح ، فـــاذا هم مراد وخثعم ، فاسروه . ولحقوا السليك فاقتتلوا قتالا شديدا. وكان اول من لقيه قيس بن مكشوح . فاسره السليك بعد ان ضربه ضربـــة اشرفت على نفسه واصاب من نعمهم ما عجز عنه هو واصحابه ، واصاب ام صرف الخثعمية ، واستنقذ صردا من ايدي خثعم ثم انصرف مسرعا . فلحق باصحابه الذين انصرفوا عنـــه قبل ان يصلوا الى الحي وهم اكثر من الذين شهدوا معه فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا .

الاغاني ، طبعة الساسي ج ١٨ ص ١٣٥)

— ١٨ —

اما قصيدته الثانية فهي «العاشية» والتي يقول فيها :

وعاشية راحت بطانا ذعرتهـــا
بسوط قتيـــل وسطها يتسيف
كأن عليـــه لون برد محبر
اذا ما اتـــاه صارم يتلهف
فبات له اهل خـــلاء فناؤهم
ومرت بهم طـــير فلم يتعيفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي
اذا ما علوا نشزا اهلو واوجعوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقبـــة
وكدت لاسباب المنيـــة اعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
اذا قمت تغشاني ظلال فاسدف

بدا السليك مقطوعته من حيث انتهت مهمته الخطرة ، فهو لا يذكر شيئا عن خروجه للغـــارة ولا عن تربصه لها ، وانما يبـــدا بذكر طرد الابل ، بعد ان قتل صاحبها ، كانمـــا هو فرح بتلك الغنيمة ، التي انقذتـــه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الجوع ، والاشراف على الهلاك فهو لا يرى الا تلك الابل التي نهبها ثم ينتقل الى موازنة طريفة بين طرفي الصراع : بين اصحابه الصعاليك واهل ذلك الشيخ القتيل ، اما هؤلاء فقد خلا فناؤهم من ابلهم ، ولكنهم مطمئنون حتى انهم لم يتعيفوا الطير التي مرت بهم لان خبر الغارة لما يبلغهم بعد ، واما اولئك فقد نجوا بغنيمتهم فوق طريق جبلي وعر . وهم يصيحون صيحة الفرح والفوز . ويحثون الابل المنهوبة على الاسراع بينما اهل الشيخ يفكرون اين استقر به وبابله المقام ؟ وما الذي اخره حتى تلك الساعة من الليل ؟ وفي هذه الغمرة من الفرح لا ينسى السليك ان يسرد غارته . فهو لم يقم عليها الا بعد ان اصبحت المسألة مسألة حياة او موت ، فقد اشرف على الهلاك لشدة مسغبته وفقره وجوعه ، حتى انه يصيبه الدوار كلما قام لفرط ضعفه واعيائه . وتظلم عيناه لشدة هزاله واجهاده .

— ١٩ —

● **رثاؤه :**

من ارق المراثي قاطبة رثاء السلكة ام السليك لابنها السليك .. وكثيرا ما حفظها الابناء من الاباء .. ونجد في زمننا الحاضر ، كثيرا من مدرسي اللغة العربية قد عملوا على الاهتمام بهذه المرثية وتدريسها للطلاب .. تقول القصيدة :

طاف يبغي نجوة
من هلاك فهلك
ليت شعري ضلة
اي شيء قتلك
امريض لم تعد
ام عدو ختلك
ام تولى بك ما
غال في الدهر السلك
والمنايا رصد
للفتى حيث سلك
اي شيء حسن
لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل
حين تلقى أجلك
طال ما قد نلت في
غير كد املك
ان امرا فادحا
عن جوابي شغلك
ساعزى النفس اذ
لم تجب من سألك
ليت قلبي ساعة
صبره عنك ملك
ليت نفسي قدمت
للمنايا بدلك

(شرح الحماسة : التبريزي ج ٢ ص ٢٧٠)

— ٢٠ —



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطاقات المعطلة

في كلمة لمجلة « النيوزويك » الاميركية الصادرة يوم ٦٧/٩/١١ تقول فيها :

« ان العرب شعب ذو ماض مجيد ، ومستقبل مفعم بالامال .. وحاضر مرير مليء بالاحباط » ..

ورغم الالتواء في هذا التعبير ، اذ انه لن ينفصل عما قبله وما بعده في ذلك المقال المليء بالدس الا اننا نأمل ان نكون « كنتم خير امة اخرجت للناس » .. والانسان الخير خير في ذاته ولذاته . وخيره يعم على كل شيء حوله فاينما حل عم الخير وانتشر .. والخير عندنا مطلق وليس بنسبي، لانه خير رباني ، نابع من كلام الله ، من اوامره ونواهيه ، من خطته لتنظيم المجتمع وعلاقات الافراد بعضها ببعض ..

ونحن في حاضرنا المهزوم المرير، لا نكاد نختلف عن الحال الذي كان عليه اجدادنا العرب الاوائل .. فقد كانوا يحملون نواة حضارتهم ، ولكن نظمهم الاجتماعية كانت تئد كل محاولة للخروج من المألوف العادي ، لقد كانوا يتعاركون بسبب اتفه التوافه كانت ارضهم مجدبة لم تكن لتجود بشيء من خيراتها وكان احرار العرب لا يجدون ما يسدوا به رمقهم ، فما بالك بعبيدهم الذين كانوا ينتظرون ما تبقى من فتات اسيادهم .. كانت الحياة قاسية على الجميع — العبد والسيد — فيها سواء ، الا ان القوم في بيئتهم المحصورة . عمدوا الى الاحتراب وعمدوا الى ظلم بعضهم بعضا وشهروا السلاح في وجوه اخوانهم وبني عمومتهم .. ولم تكن حالهم لتتحسن ولم يرتق مستواهم ، ومضت حياتهم رتيبة مملة حتى هداهم الله .. فحل السلام والوئام والمحبة والاخلاص محل البغضاء والشحناء والاحتراب .. وخرجت الطاقات المعطلة من مكامنها ، ليقيموا اعظم دولة عرفها التاريخ وباقصر زمن ممكن .. فحملوا الهداية للعالمين ..

وبعد ما كانت البيئة الضحلة المنفصة لكل عيش ، سببا في تشجيع الجريمة وتسعير الحرب وخلق فئة من الناس عرفناها بالصعاليك .. تحولت هذه الفئة بفضل الدين الجديد .. وبفضل الكتاب المجيد الى بيئة معطاءة خيرة وتحولت بيئتهم الضيقة الى رحابة هذا الكون .. فاتسعت افاقهم واغتنت افكارهم .. والانسان في كل مكان وزمان هو ذاته لم يختلف في طبيعته وانما اختلفت وسائله .. وكلما كانت البيئة ميسرة لاسباب العيش فيها ، كلما كانت الفرص سانحة اكثر لانطلاق الطاقات الانسانية الى اقصى ما فيها من فعالية ..

وقد لاحظ ذلك الاستاذ الدكتور يوسف خليف في كتابه القيم « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » اذ قال في ص ٢٥١ : « غير الاسلام من اوضاع الحياة العربية الاجتماعية والاقتصادية ولم يعد للتصعلك مجال فيها » .. ولا لاي حياة لاهية .. لهذا مضى اناس كثيرون . عاشوا على هامش الحياة .. وكان بالامكان ان يكونوا لب الحياة وقلبها. من هؤلاء السليك ، صاحب هذه الترجمة ، اذ انه عاش في المئة السابقة للبعثة النبوية ولسوء حظه لم يلحق الاسلام .. وان لحقه كثير من لداته وزملائه .. ومن الذين ساهموا في بناء حضارة الاسلام وشاركوا في الذود عن حياضه ، ولله في خلقه شؤون .

المراجع

- تاج العروس مادة سلك .
- الاغاني الجزء ١٨ ــ ١٢٣ ــ١٣٨
- ابن قتيبة ــ الشعر والشعراء ٣٦٥ / عيون الاخبار جزء ٢ ص ١٧٥ .
- المحبر / ٣٠٨
- المبرد في الكامل ص ٩٦ / ١٥٧
- الامدى المؤتلف والمختلف ١٣٧
- البغدادي ــ خزانة الادب ١٧٤٢
- السيوطي : المزهر : ٢٦٩/٢ .
- اسامة بن منقذ : لباب الاداب / ١٨٢
- المرزباني : معجم الشعراء / ٤٢٥ ــ المعتصم بالله .
- شرح الحماسة (ابي تمام) التبريزي ج ١٩٢/٢
- الشعراء الصعاليك ــ د. يوسف خليف .
- مجلة البيان العدد (٢٠) السنة الثانية ، مقالة : الشعراء الصعاليك : الاستاذ عبدالله خلف

● في مطلع كل شهر

تصدر

مجلة ●

●

★ ★ ★

●

البيان

★ ★ ★

مقالات جديدة

دراسات جادة

مواهب شابة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



العربة

قصة بقلم
صقر الرشود

رجل اسمر فارع الطول قاسي الملامح بارز العضلات ، هيئته كتمثال صنعه فنان لبطل خالد .. له عينان تنمان عن ذكاء خارق وعن امـــال حطمها الزمن ورسبها في قرارة عينيه ودفنها في عمقهما البعيد ، فهنـــاك بريق حارق حزين يعوم في نظراتـــه دائما ويصعب ادراكه ابدا ، ولكنه رغم غموضه حبيب طيب لما فيه من صفاء الحزن العميق .. لا تجفل منه اي نفس تراه .. عيناه رحلة لكـــل حزين .. وحركته هادئة رغم القسوة الملحة باصرار في بروزها عـــلى وجهه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربة ١

الوقت قبل المساء بقليل والشمس توشك ان تدنو من مغاربها لتصب في فم الكون ذهبا اصيلا قبل ان تودعه. يزدحم **نوح** داخل عربته الصغيرة القديمة التي تقف في شارع ضيق يضج بالناس ، ينظر الى لوحة المرور ثم ينظر بعدها الى ساعته ، ويخرج رأسه من نافذة العربة لتلتهم عيناه اكداس رقاب المارة الممتدة على طول الشارع الضيق ، المتموجة باستمرار وانفعالات الانشغال والترقب الخائف تبدو على وجهه .. لقد تأخر .. يقولها وهو يطفح بالقلق. ثم يعاود النظر الى لوحة المرور ، يفتح باب عربته بحذر لازدحام المارة في الطريق وينزل منها بصعوبة لطول قامته وعرض كتفيه ، فتهتز العربة القديمة وكأنه فارس ذو وزن وثقل اراح جوادا . فارتفعت العربة لتتنفس عجلاتها شهيقا . يعد اكياس الفحم المحملة في صندوق العربة باهتمام بالغ .. انه اخر كيس . الباقي كيس واحد فقط . فاذا ما تأخر العامل وادركني الشرطي سوف تذهب قيمة النقل كغرامة ، بالله اين اقف ؟؟ في كل مكان يحظر الوقوف وخصوصا في الاماكن المهمة ، ان الذي يهمني جدا هو ان اقف لاجد شيئا انقله ، في كل مكان تصادفني هذه اللوحة وكأنها سوط عذاب تفرض المسيرة علي رغم ارادتي ، يجب ان اقف ولو مرة واحدة دون ان اغرم ، يجب ان اجتاز هذه اللحظة ، ممنوع الوقوف ؟؟ لماذا يمنع الوقوف ؟ آه لكي لا تكون فوضى ، ويعيد النظر الى اللوحة ثانية ويبتسم ابتسامة يشفها الالم العريض ويكسرها في وجنتيه قبل ان تنبثق اشراقتها الساخرة .. ثم يحرقه انفعال رهيب خفي يعاوده دائما فلا يجد مهربا من حرقته الا بتحريك شيء ثقيل يدفن فيه شحنة تشنجه المزمن التي يعجز عن تفسير مصدرها .. يحرك العربة بقوة عنيدة فتهتز ويهتز بداخلها خمسة عشر كيسا من الفحم وبينما هو كذلك تبدر منه التفاتة عفوية فيلوح له عن بعد كيس الفحم الاخير يظهر تارة ويختفي اخرى بين زحمة الناس .. يتوقف عن حركته ويصمته انشغال عنيف وتوقع لاجتياز لحظة مهمة تمنى منذ زمن ان يتخطاها .. انها لحظة مصيرية تشكل عقوبة مادية بالنسبة اليه وهو في امس الحاجة الى هذا المجهود المادي ، لان هناك في المنزل ينتظره خمسة اطفال وأمهم .. اشياء عديدة برزت في صمته فرضت نفسها عليه وحبست انفاسه وانفعالاته فكان وجهه لا يبدو عليه اي ملمح لتأثر ظاهري .. كان وجهه جامدا وكل شيء كان في قرارته يتطاحن . اللوحة البارزة الشامخة على عربته القديمة .. الكيس الذي يتأرجح .. كلاهما يثيران في نفسه حساسية غريبة . كاد ان يلعن العامل وهو يتابعه ، ضربه ، لكمه عن بعد ، قال في نفسه : لماذا افرضه على نفسي وعلى عملي وهو لا يستحق ذلك . انه فاشل .. صرخة متشنجة كادت ان تطلق نفسها من مكان محرق في صدر **نوح** ولكنه تلاشاها بخطوات غاضبة التهمت ازدحام السوق ، فاذا به يقف امام الكيس الذي وقع من **فاضل** ويحمله بعنف وشراسة مفزعة ويعدو به الى العربة ، وحينما يصلها يفاجأ بشرطي المرور يسجل رقمه . يتجمد **نوح** في مكانه !! من فضلك ، يقولها لشرطي المرور ولكنه لا يرد عليه لتركيزه الشديد على الرقم وبطئه في استنتاج مضمونه ، تمنى **نوح** لو ان اللوحة لم توجد او هو نفسه يختفي من الوجود لكي لا يعيش هذه اللحظة الحاسمة . كيس واحد وكان سينطلق دون ان يلحظه احد ودون ان يغرم .. ماتت كل لحظاته التي عاشها مترقبا وضاع مجهوده ووقته اللذان بذلهما في تحميل اكياس الفحم في رقم عربته المسجل في مذكرة شرطي المرور .. بدت خيبة الامل ترخي من عزم يديه القويتين اللتين تحملان الكيس وتثبط انفعالاته السابقة في تراخ مرير لتعكسها على وجهه باهتة خفيفة تشقها ابتسامته المعهودة التي يخنق اشراقتها الساخرة الم عريض ويكسرها في وجنتيه .. فتفقد تلك الوجنتان انعكاسات لمشاعر متنافرة ، او لمزيج من الغربة والانبهار .. اقفل الشرطي مذكرته ثم ذهب في هدوء دون ان ينطق بكلمة وكأنه يسقط شخصية صاحب العربة من وجوده .. تتبعه **نوح** بنظراته والاثارة تغرز مخالبها في روحه وتشنج يديه ، وبعد ان يختفي الشرطي تماما في زحمة الناس يجد **نوح** نفسه فجأة يقذف بالكيس الى العربة ويندفع ليحشر جسمه المريض امام مقودها ثم ينطلق بها غاضبا وبجانبه **فاضل** وفترة من الصمت الثقيل الممل تفرض وجودها في العربة كشخص ثالث بصورة مزعجة ، حتى لكأنها توشك ان تذيبهما في وجود لا يطيقانه وترغمهما ان يبقيا مقيدين بها الى الابد . ولكن مقاومة خفية انطلقت من صدر **نوح** لتفجر في اعماق الصمت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقيل قهقهة طبيعية صافية ادهشت العامل الذي يجلس بجانبه وجعلته يتوه في تساؤلات عديدة ليجد تفسيرا لها او مبررا يقنعه بانها كانت بذاك الصفاء رغم الغضب المسيطر على **نوح** ، فلم يجد العامل صبرا الا ان يسأله .. الا تزال غاضبا ؟؟

— **لست بغاضب يا فاضل ..**

— اذن فانت سعيد حقا ..

— **انني راض فقط ..**

— كما تدرك يا **نوح** . لم استطع انجاز العمل بسرعة . انني اسبب لك بعض المتاعب ، اليس كذلك ؟؟

نوح يقدم **لفاضل** سيجارة والعربة تنطلق بهما عبر شارع واسع طويل مضاء الجانبين ، يشعل كل منهما سيجارته ثم يخرج **نوح** خرقة صفراء من درج العربة ويعطيها **لفاضل** ..

— **يحسن ان تنظف وجهك من هذا السواد ..**

— ولكنه سيتلوث عند انزالي الفحم

— **المهم ان تنظفه الان ، اريد ان ارى ملامح انسان لا قطعة من فحم تجلس بجانبي ..**

يقولها نوح وهو يشدد في لهجته ويصر ..

يرتاح **فاضل** للهجة **نوح** وتسيطر عليه عواطف نبيلة تجاهه ويتمنى لو يضعه داخل قلبه ، يأخذ منه الخرقة ويبدأ بتنظيف وجهه ..

نوح يقول بلهجة المؤكد ..

اتعبك نقل الاكياس هذه المرة ..

— جدا — انني لست ناجحا في هذا العمل .. بنيتي كما تدرك ضعيفة .. كم تمنيت ان يكون لي جسمك او ان تكون لي عربتك .. ولكني لن املك الاثنين ..

هل انت راض ..

في الحقيقة لا ادري .. هزالي وضعفي يقلقانني بعض الشيء .. فقط اريد عربة وتنتهي كل متاعبي الست فخورا بعربتك يا نوح ؟؟

— انني غير مرتاح .. انها ليست امنية لي كما هي بالنسبة اليك .

— **لماذا يا نوح ؟؟**

— الا ترى انني محشور بها مرغما .. انها تتعبني وتضايق جسمي .. امنيتي ان اترك هذه العربة واعمل في حقل كفلاح .. طاقة جسمي تكبس في هذه العربة وانا اريد لها ان تنطلق في ارض تصنع العجب . احب الارض يا **فاضل** واريد الاستقرار .. احب ان اخلق من العدم وجودا .. الم تتعرف على هذه المتعة . متعة الخلق ؟؟؟

— **لا لم اجربها في حياتي**

— لقد اتفق اليوم معي رجل غني على زراعة ارض قصره وسوف ازرعها ..

— **وماذا تصنع بالعربة ؟؟**

— لن اوقفها .. ساجعلك سائقا ماهرا ..

— **تجعلني انا ؟؟**

— نعم انت ..

وبعد هذا التأكيد من **نوح** ، امتلأت نفس **فاضل** باشراق عجيب بدا على وجهه الذي ما زالت على جوانبه بقايا سواد الفحم متفتحا مضيئا .. وسارا في طريق طويل حتى وصلا الى منزل صاحب الفحم وانزل فاضل حمولة العربة ..

ومرت ايام **ونوح** يجاهد بصعوبة في تعليم **فاضل** قيادة العربة وفي مواصلة عمله في حديقة منزل احد التجار ، كان العمل شاقا ومضنيا ولكن **نوحا** بما منحه الله من قوة جسمية وصفاء نفس كان قادرا على تسيير العملين بدقة واتقان .. حتى اصبح **فاضل** سائقا ماهرا .. يرتاد الاسواق ويجوب الشوارع ويعود في المساء الى **نوح** في حديقته التي يزرعها ويحييها من عدم .. يعود اليه وهو يحمل معه تحصيله اليومي . نقودا لا بأس بها .. ويجلس الاثنان في راحة تامة يتحاسبان ويتفاهمان فيما بينهما على العمل عند باب القصر .. وحينما ينتهيان يركبان العربة وينطلقان بها .. فينزل **نوح** عند بيته ويذهب **فاضل** وحيدا عبر ازقة ضيقة وهو يغني ليبعد عنه وحشة الانفراد حتى يصل الى حجرته الصغيرة في بيت مهجور خارج المدينة، وفي الصباح ينطلق **فاضل بنوح** الى القصر ليبدأ عمله ثم يذهب هو الى مواقف العربات ..

كان **نوح** يحب الارض ويعتبر بعثها شيئا اساسيا في حياته يستحوذ على كل تفكيره ويدفع به في اخلاص عنيف يبذل من اجله كل طاقته بسخاء .. ينسى نفسه في العمل ويذيب ذاته ويسكبها عصارة فيه .. كانت حركته متناغمة منسجمة وهو يعمل في احياء مزرعة القصر .. في كل حركة كان يحلم بانبثاق خضار او بتفتح برعم او بازدهار جديد .. تتطرد الاشياء في نفسه بالليل ويطبقها في نهاره بهمة ونشاط تفوق المهارة نفسها .

كان يقول عنه طباخ القصر بافتخار .. انه فنان مثلي .. انه رجل يعصر نفسه في التراب الصبخ فيتورد وتزكى رائحته ..

هذا الطباخ كان يوده بصدق ويجلس معه في الظهيرة في احد افياء القصر يتحدثان عن امنيات في نفسيهما ويتوهان عبر حلقات من الخيال المترابطة اللذيذة وهما يحتسيان الشاي والقهوة .. وفي جلسة من جلساتهما بدا **نوح** حزينا ليس كعادته، وقرأ الطباخ في وجهه ملامح ثقيلة لم يعهدها من قبل ..

— ماذا يا نوح .. مما تشكو .. من الم ؟؟

— اي الم يا فنان ؟؟ قال عبارته بزفير حارق .. وكان يقصد يا طباخ

لانه اعتاد ان يطلق عليه لقب فنان ..

— **ما الامر ؟**

— لا شيء ..

— **لا تكذب يا نوح .. ان بك اشياء مزدحمة تكاد تنفجر في داخلك.. ان حالتك ليست غريبة عني عشتها عدة مرات وكان طبخي رديئا .. انني امقت هذه الحالة لانها تجعلني مقيتا عند الناس**

— حالة بؤس يا فنان فقط .. يقولها وهو يضغط على انفعالات تراوده بالقفز الى الخارج بقوة ..

— **ما هي بربك يا نوح ؟؟**

— السكوت اجمل .. انها حالة تطاردني وتتعقبني طوال حياتي ولا تاتي الا في اوقات انشغالي بشيء احبه او اعبده فتفقدني اياه ..

— **هل تعشق وتفشل دائما ؟؟**

يضحك **نوح** بذبذبة خفية مطردة ثم يسرح بعيدا ولوقت غير قصير والطباخ يراقبه منشدا الى تعابير عينيه العميقتين فيرى انكسارات متألمة في خدي **نوح** لابتسامة كادت ان تلمع بالسخرية . تابع الطباخ في باطنه حوارا مستفيض التفاسير المتناقضة لشخصية نوح . ولكنه لم يصل الى قرار معين .

وفجأة رأى الطباخ نوحا يثب الى احد الاحواض ويجلس على ركبتيه امام وردة حمراء زاهية التفتح واللون يقطفها وكأنه ينهبها من غصنها يشمها بانفاس متشنجة الايقاع وجسمه يرتعش وكأن انفعالا داخليا رهيبا يحرق اعماقه فلا يجد خلاصا منه الا بهذه الحركة .

استطرد الاستغراب حارقا مميتا يرسم علامات الحيرة والاندهاش على وجه الطباخ وضحكة ترغمه على ان تخرج لتتجاوز كل محاولاته لكتمها ، متجاوبة مع تلك الحركات التي يقوم بها **نوح** ولكن الطباخ يخنقها لما يحمله له من اعزاز كبير ..

وتتعاقب حركات **نوح** العنيفة حيث تخلفه منطرحا على ارض فناء القصر غارقا في عرق افرزته الحركة المعيية وشمس الظهيرة اللهوب ..

يتقدم الطباخ نحوه وهو لا يصدق ان ما يراه بعينيه حقيقة واقعة وانما هو ضرب من ضروب الخيال همس في نفسه .. لماذا يفعل **نوح** هذه الحركات ؟؟ اهو نوع من الصرع؟ ايعقل ان يكون هذا الجسم المثالي مريضا .. ؟؟

ثم فجأة وجد نفسه يسأل **نوح** :

هل انت مريض ؟ اتحتاج الى مساعدة؟

— لا شكرا ..

— الشمس سوف تقضي عليك يا **نوح** .. يجب ان تعود الى الفيء ..

— **آه ما اجمل ان يحترق جسم الانسان او يحترق ما يخزنه بداخله .. الشمس صديقتي ايها الصديق ..**

— ان تصرفاتك اليوم تغير رأيي فيك يا نوح ..

— لم ؟

— عد الى الظلال وسوف نتحدث في هذا ، هيا يا نوح ..

نوح يثب بصورة فجائية ويعود الى مكانه السابق ، ماذا تريد ان تقول ايها الفنان ؟

— اريد ان اقول .. لم تفعل هذا ؟

يبتسم **نوح** ابتسامة تشع في ظلال حزنه العميق ، وتبدد كل ملامح القسوة المطلة على جبينه حتى غدا وكأنه ملاك او طفل ، وانطلق يتحدث دون تشنج او تعثر يشرح للطباخ عثرات زمانه الغابر حتى قال ، هذه هي حكايتي .. كلما املك شيئا افقده مرغما ..

— وماذا تريد ان تفعل في هذه الحالة ؟

— سوف اترك القصر واعود الى عربتي مجبرا ..

— من اجل عجوز شمطاء ؟

— انها زعيمة هذا القصر وكبيرته وماذا استطيع ان افعل انا امامها .

— تستطيع ان تفعل الكثير ، فقط يجب عليك الصمود لبعض الوقت .. انها ربما تموت عما قريب .. أؤكد لك يا عزيزي ان النصر في النهاية .. فقط اصمد ..

— كيف احتمل عبثها باحواضي ومزرعتي .. كيف احتمل تدخلها في عملي في كل وقت ؟ كيف احتمل اوامرها السخيفة .. من اين لي ان اطيق تفاهة بكاملها ؟

— اصبر .. الصبر جميل .. سوف تتغير الامور وبحكم الزمن ستكون انت الرابح ..

— بهذه الطريقة سيقضى علي قبل ان اربح .. ما ابشع ان يتدخل في عملك جاهل ولا تملك القوة على مصارحته ، ما ابشع ان تكون مجيدا ومتفانيا في العمل ..

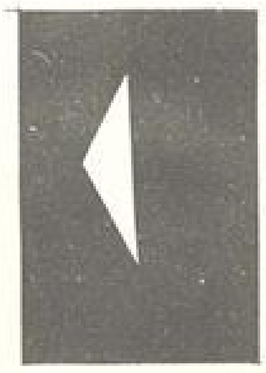
— ليس امامك حل واضح طالما كانت هذه الانسانة تحيا .

— اود لو اصفعها .. تقديسي لعملي وتدخلها الغبي يثيران في نفسي التقزز .. انني اؤمن بعدم الاعتراض على من يجيد اختصاصه وهي في كل حين تدعي .. لا اريد ان ارتجف بين حين واخر رجفات انفعالي المعتاد هذه مسخرة لا تطاق .

— الباب مقفل ، هل تكسره يا صديقي ام تبحث عن وسيلة لفتحه ؟

— وما هي الوسيلة ؟

— قليل من التروي والتمعن الحكيم .. ان القصر هي التي تملكه والحديقة ايضا ..



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



— ليس معنى هذا ان تحتقر عملي .. انا لا اطلب منها ان تثني علي ، كما ارجو ان لا تعترضني في كل حين .. انا الذي صنعت هذه الحديقة ، بعد ان كانت خرابا ، وانا الـــذي احييت فيها الزهر وليست هي ..

— وماذا تفعل اذا كانت هي المالكة لهـــا ؟

— اتركها وامضي في سبيلي .. لن اعمل مطلقا في ارض يملكها اخر ..

— على رجل مبدع مثلك ان لا يحرم الارض من ابداعه من اجـــل عجوز شمطاء مغبرة .. من اجل اطفالهـــا الذين يشمون اريج ورودك ويتلذذون بخضار زرعـــك يجب ان ان تقرر البقاء ..

— لا اطيق البقاء .. اخبرهم الليلة بانني لن اعود في الصباح اليهم .

— لا تطلب ان تأخذ حقك مائة في المائة .. بـــل اكتف بالخمسين فقط وسيحالفك النجاح .. لن يطاردك سوء الحظ بعد الان ولن يحرقـــك انفعال غاضب يهزك .. ابق يا **نوح**،

— اتمنى لو تـــكون لي ارض ، يقولها **نوح** بالم شديـــد ثم يصمت ويغرق في التفكير معانقـــا الافق بنظراته ..

يسهب الطباخ في حث **نوح** على البقاء محاولا اقناعـــه بشتى الطرق ولكن التصميم على عـــدم العودة في الصباح القادم الى الحديقة بارز في صمته الطويل وتعابير وجهه المتشنجة .. اريد ان اتصرف بحريـــة في اختصاصي وفي حبي لعملي ..

يقول هذه الجملة عند المســـاء عندما عانق رفيقه الطباخ وودعه . بكى الطباخ كالطفل على هذا العملاق وتمنى ان يكون كسبا لهذه الارض وصديقا ابديا له لا يفارقه .. وقف **نوح** كعادته عند الباب ينتظر العربـــة القديمة بفارغ الصبر مدى ساعتين حتى يئس وقرر ان يذهب سيرا على الاقدام الى بيته .. وفي الطريق وجد عربته محطمة وقد اصطدمت بسيارة نقل كبيرة .. كان قد مضى عـــلى الحادث ساعات فوجد فاضل يجلس على الرصيف لوحده يجتر مأساتـــه وبعض الخدوش في يديه ووجهه ..

— **ماذا يا فاضل ؟ يقولها بطريقة عادية ..**

— صدمت العربة يا **نوح** .. صدمت

— **وماذا في ان تصدم ؟ الانسان يتمزق ويصدم .. المهم هل انت سليم ..**

— كالقط يا نوح .. معافى ..

— **كان من المفروض ان لا تتركني عائما في تخمينات وتوقع ..**

— كنت خائفا .. انها خســـارة كبيرة بالنسبة اليك .. سوف اصلحها على حسابي ..

— **هذا قضاء وقدر .. هيـــا يا صديقي ..**

— الى اين ؟

— **الى احد المقاهي . .ليس لدينا ما نفعله الان ..**

يذهبان الى مقهى قريب ويجلسان يحتسيان الشاي وبعد صمت طويل ينظر احدهما الى الاخر وينفجر **نوح** ضاحكا ضحكته المعهودة الصافية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيان

في عَدَدها الأخير

عرض وتعليق

أحمد عطية أبو مطر

اول ما يلفت الانتباه في العدد الاخير من مجلة « البيان » هو انها ما زالت تتطلع بامل فيه كثير من الاشراق لبلوغ المستوى الرفيع — ان لم تكن وصلته خلال عاميها المنصرمين — ، ويبدو هذا الاصرار على التقدم نحو الارفع ، والمستوى الذي يشبع طموح القارىء المثقف ، يبدو هذا من اول كلمة تطالعك بها « البيان » في « كلمة التحرير » « الى القارىء » في صفحتها الثالثة ، حيث تشع امام عين القارىء هذه الكلمات الجادة : « .. نبذل كل ما نستطيع لتكون خطوات هذه المجلة تسير دائما الى الامام فنحن نؤمن ان الخطوة القصيرة افضل الف الف مرة من « مكانك سر » .

اما من الداخل ، فعدد (البيان) الاخير ، زاخر بالمواد الادبية ، من ابحاث واشعار وقصص ولقاءات .. ولنبدأ الان رحلة ادبية فكرية وجدانية ممتعة مع « مواد » هذا العدد ، كل على حدة ..

١ ـ الابحاث ..

اول ما يصادف القارىء « بحث نحوي » ، يطرق مسألة هامة في عالم اللغة العربيةوهي مسألة « تبسيط النحو العربي » ، وهذا البحث عبارة عن الكلمة التي القاها الاستاذ عبد السلام هارون رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت في مؤتمر تيسير النحو الذي عقد بكلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٦٠ .

والمعروف ان الطلاب العرب في كل مراحل التعليم لا يشكون من اي فرع من فروع اللغة العربية مثل شكواهم من « النحو » .. وهنا يتساءل الاستاذ عبد السلام هارون : هل انفرد النحو العربي من بين العلوم التي نقدمها الى ابنائنا في التعليم العام بهذه الصعوبة ؟؟ والم يوجد له نظير او مثيل يتسم بمثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الصعوبة ؟؟ الواقع ان هناك كثيرا من فروع العلم فيها من الصعوبة والتعقيد مثل النحو او اكثر وذلك مثل فروع الرياضيات من حساب وهندسة والعلوم الطبيعية والكيمائية وغيرها .. ما دام الامر كذلك ، فلماذا هذه الشكوى والضجيج من « النحو العربي » . هنا وامام هذا التساؤل يكشف الباحث عن نقطة كانت غامضة للاغلبية في هذا المجال ، وهنا نعرف منه ان هذا الضجيج وهذه الشكوى انما هي « عقدة الاجيال الاستعمارية البائدة ، عقدة رجال العهد البائد ، عقدة الدم التركي والاجنبي ، الذي حاول ان يقضي على النحو تحت ستار الاصلاح » . هذا هو الاصل والاساس في الحملات الظالمة التي تشن على « النحو العربي » ، ولكننا نحن اليوم « نسينا هذا المحرك الاول لهذه الحملة الظالمة لطول العهد » . ومن هذا البحث القيم نعرف لاول مرة ان اساس « تيسير النحو » كانت حملة استعمارية رجعية قام بها الحكام في العهد البائد ليقضوا على العربية من خلال « تيسيرها » . ولكن هل يعارض الباحث حركة« التيسير » هذه .. لا .. فالباحث وجد ان « التيسير » هذا يسمخ النحو العربي « ويقضي على قواعده الاساسية ، وعلى اصطلاح جمهور النحاة التي تشربتها الاجيال وسرت في العروق والدماء ، اعني عروق التراث الاسلامي ودماء الثقافة العربية » . والغريب ان بعض الذين تعرضوا لمسألة « تيسير النحو » قاموا بتبديل الاصطلاحات ، وهذا — في الحقيقة — امر خطير للغاية ، لانه سيخلق بلبلة في اذهان المتعلمين ، فستكون عندنا « لفظة واحدة » لها « محل واحد من الاعراب » ولكن فلان يطلق عليها « المسند » واخر يطلق عليها « الفاعل » .. وهذا بالفعل تعقيد وليس تبسيط ، او تيسيرٌ الصعب بالاصعب كما يسميه الباحث .. ويضرب الباحث امثلة كثيرة لـ«تيسير الصعب بالاصعب » ، وكلها مؤيدة لرايه الذي يتلخص في « انه ينادي بتيسير النحو ، وبتيسير غير النحو ، بل بتيسير كل صعب في هذا الوجود ولكننا لا نغفر ان تمس اصول العربية استنادا الى اراء بعض شذاذ النحويين وارتكانا الى اراء فردية ، لا تمت الى مدارس ذات قدر موزون» .

وبالفعل لقد عانينا نحن وكثيرون من مشكلة التيسير هذه . فقبل سبع سنوات ، دخلنا كلية الاداب بجامعة القاهرة لندرس النحو في قسم اللغة العربية . وكم كانت التجربة مريرة بالنسبة لنا ، عندما بدانا فور دخولنا القسم ، ندرس النحو في المراجع القديمة مثل : شذور الذهب واوضح المسالك وشرح إبن عقيل ، واذا بها تستعمل مصطلحات واساليب تختلف تمام الاختلاف عن الاساليب والمصطلحات التي تعلمناها في المرحلتين الابتدائية والاعدادية في تلك الكتب الصفراء المسوخة . وبدانا نتعلم النحو في المرحلة الجامعية ، وكاننا نسمع به لاول مرة .. هذه هي الخطوط العامة للبحث القيم للاستاذ عبد السلام هارون ، وهو في الواقع يطرح قضايا هامة تتعلق بمعروبتنا الاصيلة وتراثنا القومي .

اما البحث الثاني الذي سنقف امامه في العدد الاخير من « البيان » فهو عبارة عن كتاب العلامة آينشتاين للكاتب اليهودي الاميركي وليام كهن وترجمة فاضل خلف . والرائع في هذا البحث المطول هو انه يقدم صورة رائعة باسلوب مبسط لحياة هذا العالم الخالد ولنظريته النسبية ... وفي رايي انه لا يوجد مثقف وقارىء الا وسمع عن اسم هذا العالم وعن كلمة النسبية التي تطلق على نظريته .. ولكن قلائل من يفهمون هذه النظرية ، حتى ان العالم الطبيعي المصري الدكتور مصطفى مشرفه كان يقول « ان هذه النظرية لا يفهمها في العالم كله الا عشرة » وربما قليلون الذين يعرفون ان نظرية النسبية ترتب عليها صنع القنبلة الذرية التي اصبحت تتحكم في مستقبل البشرية جمعاء .

ما هي نظرية « النسبية » ؟؟

يقدم لنا البحث هذا تعريفا مبسطا لها ، فنعرف منه ان المادة ما هي في الحقيقة الا « طاقة مكثفة » وان الطاقة في كل ذرة من ذرات المادة تساوي كمية تلك مضروبة في سرعة الضوء (١٨٦ الف ميل في الثانية) ومضروبة مرة اخرى في سرعة الضوء كذلك . ولقد قدم اينشتاين تعريفا طريفا لهذه النظرية بقوله : « عندما يجلس رجل مع فتاة حسناء **مدة** ساعة كاملة ، فان هذه الساعة تبدو له وكانها دقيقة واحدة ، ولكن دعه يجلس على موقد حار مدة دقيقة واحدة ، وستبدو له هذه الدقيقة كانها ساعة كاملة . .تلك هي نظرية النسبية ، وهذا التعريف اللاذع يذكرنا بتعريف برناردشو للراسمالية عندما عرفها لاحدى السيدات قائلا — وهو يمد يده الى لحيته — « غزارة في الانتاج » ثم يمد يده الى صلعته قائلا « وسوء في التوزيع » .

وفي النهاية يتطرق البحث الى الجانب الانساني من شخصية هذا العالم العظيم فنعرف انه كان متواضعا بسيطا ، لا يحب الارتزاق من وراء العلم ، وانه كان محبا للعدل والديموقراطية ، وطالما دافع عنها .

اقلب الصفحة من فضلك

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن ما يهم القـــارىء العربي ان يعرفه من خلال هذا البحث هو ان اينشتاين كان صاحب نزعة صهيونية بل كان مندفعا للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وسافر مع الصهيوني حاييم وايزمان الى اميركا لجمـــع التبرعات لصالح الدولة اليهوديـــة وهذا ما دفع ابا ايبان ان يقول عنه :

« الدكتور اينشتاين العـــالم اينشتاين اليهودي يمثلان انسجامـــا تاما ، وهذان العاملان مضافا اليهما تأثره العميق بالنكبة اليهودية في اوروبا يوضحان « الغيرة العظمى » التي يحملها ويؤيد بها انعاش اسرائيـــل القومي » .

ونخرج من هذا البحث الفكري العميق الى بحث ادبي مطول يتعرض لظاهرة ادبية هامة في الشعر العربي الجاهلي وهي « ظاهرة الصعاليك » وهذا البحث هو « الصعاليـــك في الشعر الجاهلي » وهو للاستـــاذ عبدالله خلف .. وقارىء هذا البحث يلاحظ الجهد الذي بذله الكاتب ليقدم لنا هذه المادة الادبية الغزيرة .. ففي البداية اورد التعريفات اللغويـــة لمـــادة « الصعلكة » .. ثم لمحـــة عن حياة الجاهلية وافكارها .. ثم كلمة سريعة عن حياة بعض الشعراء الصعاليك ونماذج من شعرهم ... واخيرا المميزات الفنية للقصيدة عنـــد الصعاليك .. ولي كلمة حول هـــذا البحث آمل ان اكون غير متجن فيها على الباحث هي ان البحث اقتصر عند ذكره الشعراء على عرض سريع لاسم الشاعر وقبيلته ولمحة بسيطة عن حياته .. ثم نماذج من شعره .. وهذا في متناول اي قـــارىء مغرم بالادب فهو قادر على معرفة سيرة اي شاعر ونماذج من شعره وذلك من امهات الكتب القديمة والكتب الحديثة .. لذلك كان اغلب البحث ـــ رغم الجهد المبذول الذي أعترف به ـــ عبارة عن تقديم مادة ادبية للقارىء كما هي في امهات الكتب القديمة ..

والكاتب نفسه يعترف بذلـــك في نهاية البحث ويعدنا بشيء جديـــد فيقول « .. لذلك لم اجد في الكتابة عن اي شاعر الا سرد ترجمة ، امـــا الكتابة عن هؤلاء فاني وجدت موضوعا قيما ما زال هدفا كبيرا في نظري » .. ونحن في انتظار هذا الموضوع القيم .

ومن ابحاث هذا العدد ايضا ، بحث قصير للغاية ، ولكن رغم قصره فهو يطرح على بســـاط البحث ، موضوع الساعـــة في الادب العربي وخاصة في المرحلة الاخيرة بعد الحرب الاخيرة .. هـــذا الموضوع هو : العلاقة بين عطاء الاديب وشعبه .. او مهمة الادب العربي في هذه المرحلة وهذا البحث القصير العميق للاستاذ عبد الصاحب الموسوي وفيه يخلص الى ان عـــلى الادب العربي الان مهمتين : الاولى اسقاط كافة العقبات والموانع التي وضعتها الدعاية المعادية اي القضاء على اليأس عند الجماهير العربية ، والثانية : القدرة عـــلى المواجهة الجريئة للمواقف التي يجب ان نبادر اليها .

وفي رأيي ان الادب العربي يجب ان يصبح اليوم «ادب مقاومة» بمعنى دفع القوة والحماســـة الى صدور العرب وبث الامل في نفوسهم ، ليصبح كل منهم خنجرا ساما متهيأ للقـــاء العدو ..

واخر ابحاث هذا العدد ايضا « بحث قصير » تناول مسألة دقيقـــة في عالم الشعر والجو النفسي لنظم الشعر او عملية الابداع في الشعر ولكن كما تصورها العلامـــة العربي ابن خلدون وصـــاحب البحث هو الاستاذ اسماعيل الصيفي ، ومـــن خلال البحث نعرف ان ابن خلدون كان يضع شروطا لعملية الابداع الفني في الشعر ، وقد قسم الكاتب هـــذه الشروط الى اقسام ثلاثة اولهـــا : اعداد ملكة الشاعر وعقله ونفسه .. وامام هذا القسم يضع ابن خلدون شروطا اولها :

الحفظ مـــن جنس الشعر اي شعر العرب والثاني نسيان ذلـــك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفيـــة الظاهرة .. هذا ما تناولـــه البحث ولكن مع المقارنة مـــع اراء الدكتور مصطفى سويفي في كتابه « الاسس النفسية للابـــداع الفني في الشعر خاصة » . ولقد اصاب الاستـــاذ الباحث تمام الاصابة عندما طـــالب باستعمال كلمة « المنوال » بدلا من كلمة « الاطار » في مجال عمليـــة الابداع الفني ، فبـــدلا من ان نقول « ان الاطار الذي ينسج عليـــه الشاعر » نقول « ان المنوال الـــذي ينسج عليه الشاعر » وذلك لان كلمة « المنوال » اكثر ايحاء ودلالة عـــلى الطريق الذي يترسمه الشاعر في نظمه من كلمة « الاطار » التي لها معان محددة في اذهان الاغلبية لا يمكن ان يفهم منها هذا المعنى الذي نريده في عملية الابداع الفني في نظم الشعر . ورأيي ان الشاعر الذي يبحث لشعره عن الانتشار والخلود ، هذا الشاعر ما عاد يكفيـــه « الحفظ من جنس شعره » بل لا بد له من الاطلاع على الاشعار العالمية الاخرى ، فالشاعر العربي اليوم اذا اراد لشعره ان يخلد ويؤثر في القراء ايا كانت انواعهم لا بد له من تطعيمه بثقافات واشعار اخرى عالمية .

٢ ـــ الشعر ..

وننتقل الان من الجانب الفكري في المجلة ، الى الجانب « الوجداني » ممثلا في قصيدتين للشاعرين : خليفة الوقيان وخالد سعود الزيد ، وهمـــا قصيدتان من الشعر العمودي تجريان على بحر « الهزج » (مفاعيلن) مرات) .. والقصيدتان عبارة عن مشاركة نفسيـــة بين شاعرين ، فالشاعر خليفة الوقيان ـــ كغيره من البشر ـــ حائر في هذه الدنيا التي لا تسير على منوال ووتيرة واحدة بـــل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لها في النهار وجه وحقيقة ، وفي الليل يتبدل هذا الوجه .. وهذه الحقيقة .. ويسمع الشاعر خالد سعود الزيد بحيرة الشاعر خليفة الوقيان تثار شجونه ويشاركه هذه الحيرة ولكن — في رأيي — بلون وطعم اخر .

فالشاعر خليفة الوقيان ، اغاظته وصعبت عليه هذه الدنيا التي لا وجه لها ولا قانون ومنطق ..

يقين ضاع في بيد
من الاوهام والبعد
فلا ليل له حد
ولا صبح بممتد
ولا عهد لذي عهد
ولا ود لذي ود

وفي النهاية تسيطر على القصيدة مسحة من التشاؤم ، بل التشاؤم المفرط لان الشاعر لم يعد يتحمل هذه الدنيا الزائفة ، التي لا منطق لها ولا عقل .. فها هو بأسى يخاطبها تائلا ..

ولفي كل معوج
وضمي كل مرتد
اطيحي بالذي افنى
ربيع العمر في الكد
ومدي كفك المغمور
بالاوحال وامتدي
كسيف في رقاب الخلـ
ـق يمضي قاطع الحد
الا هبي بليل التيه
هبي نفحة اللحد

على ان الشاعر خالد سعود الزيد يشاركه هذه النظرة السوداوية ولكن بحيرة اقل فهو يقول :

وما حالي على حال
تسر وانما تردي
فما تلقى اخا حق
يصيب هواه بالرشد
ولكن ربما قد فا
ز ذو البغضاء والحقد
زمان لا رعاه اللـ
ـه كم أودى بذي مجد
واعلى شأن خوان
سقيم القلب مرتد

وقوله هذا يذكرني ، بنظرة لابي العلاء المعري ، ينقم فيها على البشر اصحاب هذه الدنيا التي لا وجود فيها الا للكذب والتملق فهو يقول فيهم :

افضل من افضلهم صخرة
لا تظلم الناس ولا تكذب

وكذلك يذكرني بقول البحتري :

وكأن الزمان اصبح محمـ
ـولا هواه مع الاخس الاخس

وفي رأيي ، ان هاتين القصيدتين صائبتان في نظرتهما ، معبرتان تمام التعبير عن شجون البشرية جمعاء .

٣ ـ القصة ..

اما باب القصة في عدد «البيان» الاخير ، فيحتوي على قصة ودراسة حول رواية .. هذه الدراسة للاستاذ عبد الرزاق البصير حول رواية القصصي الامريكي « ملفل » التي سماها « موبي ديك » .. والباحث نراه لا يتعرض لدراسة الرواية ككل او تقويمها ونقدها ، ولكنه اقتصر على عرض الافكار والاراء التي لكاتبها حول « الديانات »، ورأيي ان « ملفل » هنا ، احترم جميع الديانات كائنة ما كانت لانها جاءت لاسعاد البشرية وبالتالي ينتقد التفرقة العنصرية ، وللروائي نظرة صائبة يطالب فيها بمحو الروح العسكرية واعتبارها مثار استهجان لا افتخار، لانها مصدر شقاء الانسانية ..

هذا هو الجانب الذي اقتصر عليه بحث الاستاذ عبد الرزاق البصير اما القصة التي اشتمل عليها العدد ، فهي قصة (وفاء) للكاتب تامر فرحان البشير . وهنا اجد نفسي محرجا في الكتابة عنها ، لانها اول قصة اقراها له ، فهي القصة الوحيدة التي قراتها لهذا الكاتب ، لذا فالحكم عليها عندي له صعوبات جمة ، حيث لم اتعرف على طبيعة الكاتب ، ولم اعايشه مدة لكي استطيع الحكم على القصة .. ورغم ذلك سأدلي بدلوي ايا كان عطاؤه . .

القصة من النوع الذي يسميه د.و. الكسندر « القصة القصيرة جدا » ، فكلمات هذه القصة (وفاء) لا تزيد عن الف كلمة ابدا ، وهي تتناول قضية لها اهمية وهي(الصراع) في النفس البشرية ، فـ «الصراع » هو الذي يسيطر على حياتنا . الصراع بين الخير والشر ، الصراع بين الحق والواجب ، الصراع بين الاهواء والقانون ، والقصة تتعرض للصراع بين الفضيلة والرذيلة . فبطل القصة ، يسكن معه زميل له فضل عليه ، ومعه زوجته الجميلة التي كان قد خطبها قبل زواجهما من زميله .. ولكن الزوجة تمارس معه الان دور اغراء انوثي لا حد له .. فهل يسقط البطل في الرذيلة ويطعن زميله في اغلى مقدساته .. ام يحافظ على الفضيلة ، ليبقى رجلا في عين زميله ؟ ..

ولقد استطاع القصاص ان يدير الصراع ببراعة ، فجعل البطل يكاد ان يسقط في الرذيلة ، واخيرا ردعه ضميره وظل رجلا فاضلا .

وملاحظتي الوحيدة على القصة في مجال فنيتها ، هي ان القصة القصيرة بالذات والقصيرة جدا خاصة يجب ان تشغل « حيزا محددا من الوقت » ، فكما يقول د.و. الكسندر « لا اعتقد ان القصة القصيرة جدا يمكن ان تبدا ذات يوم لتنتهي يوم الخميس القادم ، ولكن يجب ان تبدأ وتنتهي في حيز قليل من الوقت » .

ولكن القصة هنا (وفاء) استغرقت رغم كونها قصيرة جدا حيزا طويلا جدا من الوقت وهذا ما يتعارض مع فنية القصة .

ولكن الذي اجاد فيه القصاص هو الاسلوب المركز صاحب الايحاءات والدلالات العميقة وكذلك ديناميكية الحركة في احداث القصة وكان موفقا عند التركيز على بطل القصة .. لانه المحور الذي تتبلور حوله احداث القصة .

آمل ان اكون غير متجن في كلمتي على القصة ــ وان كنت كذلك ــ فعذري اوردته من البداية .. وهو انني لم اعايش الكاتب بعد .. ولم اقرأ له سوى هذه القصة .

٤ ــ اللقاءات ..

وآخر ما اختم به حديثي عن عدد « البيان الاخير » ، اللقاءان اللذان تضمنهما العدد ، اللقاء الاول مع الفنان خليفة القطان اجراه واعده سليمان الشطي وفيه اراء مختلفة للفنان اهمها :

١ ــ انه يفضل المذهب الكلاسيكي ، لانه الثابت ويسبغ فضله على كل المذاهب الفنية .

٢ ــ انه يرفض النظرية التكعيبية القائلة ان عنصر الاشياء بدأ من مكعب ومنه تتكون بقية الاشياء .. ولكنه يرى ان كل شيء مكون من ذرات ..

٣ ــ رسالة الفن ابراز المشاعر القومية التي تحدث في محيطه وذلك عن طريق عمل اللوحات التي تجسد الحوادث واقامة المعارض داخل البلد وخارجها .

واللقاء الثاني عبارة عن وصف للحظات وساعات مع الشاعر عمر ابو ريشة عاشها الزميل يعقوب عبد العزيز الرشيد ..

عزيزي القارىء ،

هذه رحلة اصطحبتك خلالها الى مجالات فنية وادبية ووجدانية احتواها العدد الاخير من « البيان » وآمل ان اكون قد وفقت .

ايضاح

وردت الينا استفسارات عديدة من القراء الكرام حول ترقيم عدد شهر اغسطس الماضي ، ونظراً للظروف التي مرت بها الدول العربية ومنها الكويت فيرجى اعتبار العدد المذكور ممثلا للعددين السادس عشر والسابع عشر حتى يتناسق الترقيم مع التأريخ الزمني للمجلة .

سقط الشرح المدرج تحت هذا الكلام من قصيدة الاستاذ خالد سعود الزيد « شجون » المنشورة في العدد الماضي لذا وجب التنويه .

(١) كدى شخص اعمى مسحر في علوم الدين غير ان كثرة مزاحه وهزله اضاعت هيبته كرجل دين وعرف بين الناس كرجل نكتة اما سبب تلقيبه بكدي فهو ان احدى زوجاته وكن كثيرات وكانت غير عربية ، تحضه ان يعمل ويكد فتردد عليه عبارة (كدي) ولعجمتها كانت تخاطبه بالمؤنث ، فتقول له (كدي) بدلا من كد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com